A.U.B. LIBRARY

للمؤلف

افاعي الفردوس

الالحان

روابط الروح والفكر
بين العرب والفرنجة

الى الابد

نداء القلب

تحت الطبع

بودلير في حياته الغرامية

اوسكار وايلد والفرد دوغلاس سنة ١٨٩٤

842.91
R83pA
C.1

موريس روستان

أوسكار وايلد

أمام القضاء

ترجمة

الياس ابو شبكه

77044

منشورات دار المكشوف

٢٢٥٠

الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٤٧

جميع الحقوق محفوظة لدار المكشوف

اوسكار وايلد

كان اوسكار وايلد على جانب كبير من المعرفة ، أو من الثقافة على الاصح . وكان الى ذلك جميلًا بل على جانب كبير من الجمال ، ومحدثاً يستهوي بالبهجتين : الكلام والخُلق .

في ذلك الزمان كان في جامعة اوكسفورد استاذان ، احدهما ، وهو روسكن ، يقول بضرورة طلب الجمال في كل شيء على ان يرتكز على الآداب ، والآخر ، وهو باتر ، يقول بان الغاية من الحياة هي ان يتمتع الانسان بلذاذاتها المتنوعة على اي وجه كان وباشد ما فيه من حدة الحواس . فتأثر اوسكار وايلد بهذا المذهب الى حد كبير ، وراح يبشر به ، ويشرحه ببلاغة استهوت في احد الايام باتر نفسه فأهوى على يد تلميذه يقبلها .

وكان ان ابتدع وايلد تعابير غير مألوفة كهذا مثلًا : « يستطيع المرء ان يقاوم كل شيء الا التجارب » . وبعشرة من هذه التعابير كان المحدث يذهب بعيداً في الصالونات اللندنية . فما عتم الامر ان اصبح وايلد قبلة الانظار تتخاطفه الطبقة الراقية من اللندنيين . سوى ان هذا النوع من الفوز لا يؤدي مطالب العيش ولا يدفع ثمن الثوب ولا اجرة الخياط . وكان وايلد ذائع الصيت في حسن الهندام وغرابة ما يختار لنفسه من الازياء . فصح عزمه

على القيام بسياحة خطابية في اميركا تدر عليه بعض المال . على ان محاضراته قوبلت في اميركا بالدهشة والسخرية ، ولكنها اكسبته بعض الشهرة في اوساط الطلاب وبعض المال ايضاً . فالذي قاله في محاضراته كان مبتذلاً ، ولكنه عرف ان يلبسه الفاظاً برّاقة مغوية .

في تلك السنة (١٨٨٠) اقام وايلد ردحاً من الزمن بباريس زار خلاله جميع كبار الكتاب من فيكتور هوغو الى بول بورجه . وكان شديد الرغبة في الاجتماع ببول فرلين ، على ان اجتماعه به احبط آماله لان البوهيمي الانكليزي كان يحب الفخفخة وبسطة العيش ولا يريد ان يفهم كيف يمكن التوفيق بين الشعر الصافي والتعبير المبهم .

ولما عاد الى لندن كانت شهرته قد طبقت الآفاق وكان قد اصبح اطرب رجل يمكن دعوته الى مائدة . وكان يقول ان الانسان الذي يتصدر وليمة كبرى في لندن يستطيع ان يسود العالم .

اما بطاقات الدعوة الى الولائم التي يتصدرها وايلد فكانت تحمل امثال العبارة التالية : « للاجتماع باوسكار وايلد والاستماع اليه يقص آخر قصة له . » والواقع ان وايلد كان يتحدث بسهولة عجيبة وتعابير اخاذة . وقد قال احد النقاد الانكليز : « ان من عاش بلندره في القرن التاسع عشر ولم يسمع اوسكار وايلد يتكلم كمن عاش باليونان في عهد بركليس ولم ير البارثينون . »

ولقد بلغ تأثر اللندنيين بمذهب وايلد في الجمـــال مبلغاً حمل الشباب على الاعتقاد بان الجمال كان قبـل ١٨٨٠ ، ولكن وايلد هو الذي ادخله الى العالم . . .

كانت انكلترا المحافظة تنظر باشمئزاز الى الآداب الغريبة التي ابدعهـا وايلد . سوى ان فوزه في المجتمعات لم يوفر له رفاهيـة العيش . فان يكن اصدقاؤه قد امنوا له الشمبانيا والكافيار فقد بقي المأوى والملبس معضلة صعبة الحل . لذلك صح عزمـــه على الزواج من الآنسة كونستانس لويد ، وهي فتاة مجردة من الحسن ولكنها تملك بعض المال .

ولما اطمأن الى العيش انصرف الى بث دعوته القـــائلة بان الحيـاة ليست سوى وسيلة لتحقيق الجمال . قال : « ان الرذيلة والفضيلة هما اداتان للفن . ولا أهمية لسوى رأي الفنان حتى في الدين والآداب . فالفن هو محاولة جريئة لوضع الحياة في مكانها . ولا نستطيع ان نتقي اخطار الحياة الواقعية بسوى الفن وحده . والواقع الذي لا ريب فيه انـه اصعب بكثير ان نكتب شيئاً جميلاً من ان نعمله . فجميع الناس يستطيعون ان يحيوا ، ولكن قصة حياتهم تحتاج كتابتها الى رجل عظيم . »

وكان يذهب الى انـه من واجب الناس ان يشتغلوا ليوفروا رفاهية العيش لجميع الذين واللواتي يبدعون الجمال . كانت هـذه

الفكرة تسر النساء المترفات ، ولكنها توحي المقت والكراهية الى الطبقات المتوسطة ، والطبقات المتوسطة هي الكلية القدرة في انكلترا .

وبديهي ان انكلترا انجبت عدداً كبيراً من كبار الشعراء ، ولكن الذي يسود فيها هو مستر جون بول ذو القبعة العالية واللباس المريح والكرديتو في البنك . فكان طبيعياً ان تزعجه تلك البدع الجديدة التي يبثها اوسكار وايلد . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تعداه الى اتهام وايلد بسوء الآداب سواء في كتاباته ام في حياته . فقد كان يختار رفاقه من الشبان المشهورين بانحطاط الاخلاق . وما عليه ما دام يعتقد ان الرذيلة والفضيلة ليستا سوى اداتين للفن ، ويذهب الى ان واجبه هو ان يلهو لهواً حاداً ويحيا حياة تكون عملاً فنياً .

وكان وايلد يعتقد انه فوق القوانين العامة . وقد تمكن من ناصية الادب واصبح بسرعة مدهشة قصاصاً ومؤلفاً مسرحياً تُقبل لندرة عليه اقبالاً لا عهد بمثله . والغريب ان وايلد كان يجيد قول اشياء مبتذلة بدون اي ابتذال . واليكم نموذجاً من اقواله : « ان النساء البشعات يغرن على ازواجهن بخلاف الجميلات فهن منشغلات بالغيرة على ازواج الآخرين » . « النساء جنس يميل الى الزخرف الصرف ، فليس لديهن شيء يقلنه ، ولكنهن يقلنه بطريقة جذابة . »

وقد نلجأ الى هذا القول الاخير لوصف ما اتصف به فن وايلد

المسرحي من الجمال ، فلم يكن لدى وايلد شيء خطير يقوله ، ولكنه كان يقوله بظرف جذاب .

في ذلك الوقت الذي بلغ فيه اوسكار وايلد قمة الشهرة واصبح يدرج في عداد اسعد رجال انكلترا ، تعرّف الى فتى من اقدم العيال الانكليزية هو اللورد الفرد دوغلاس ، نجل المركيز ده كنسبيري . كان اللورد الفرد يتمتع بقسط وافر من الجمال والثقافة ، فاستهوته موهبة وايلد الاباحية الى حدّ بعيد ، وسرعان ما ارتبطا بعرى صداقة متينة لفتت اليهما الانظار واغضبت المركيز ده كنسبيري ، والد اللورد الفرد ، فراح يهاجم في الصحف مؤلفات اوسكار وايلد على انها مفسدة للاخلاق . وكان دوغلاس الفتى يمقت والده فدفع صديقه وايلد الى ان يرفع على المركيز العجوز دعوى شتم واهانة جاهلاً ما يجره ذلك من الخطر على صديقه اذ ماذا يرجى من اعضاء محكمة هم ابعد الناس عن فهم اساتذة الجمال وتذوق مذاهبهم وقبول حماية طريقتهم في الحياة ؟ وشاء سوء الطالع ان يكون القاضي نموذجاً كاملاً من تلك الطبقة الانكليزية المتوسطة الحاقدة على جسارة وايلد ووقاحته فسأله قائلاً :

— هل قرأ السيد وايلد في احدى المجلات التي يناصرها قصة عنوانها « الكاهن وشماسه » ؟ ألا يرى ان هذه القصة مفسدة للاخلاق ؟

فاجاب وايلد :

– انها شر من ذلك ، فهي مكتوبة بلغة رديئة .

فقال القاضي :

– ألا يعرف السيد وايلد ان ما يكتبه يفسد اخلاق قرائه ؟

فاجاب وايلد :

– انا لا افتش عن الخير ولا عن الشر ، بل اسعى لصنع شيء جميل .

وكان ان برأت المحكمة بالاجماع المركيز ده كنسبيري ، ومعنى ذلك انها تجرم وايلد وان الادعاء العام سيلاحقه بدوره ، فخف اصدقاؤه اليه يحثونه على الهرب الى فرنسا في يخت اعدوه له . ولكن وايلد بقي ساكناً في مكانه غير عابىء . وما دام كل ذلك داخلاً في نطاق الحياة الواقعية فلا اهمية له .

وفي اليوم التالي صدرت مذكرة بتوقيفه . وتوقيف وايلد مرحلة على جانب عظيم من الخطورة في تاريخ انكلترا الادبي والخُلقي . ذلك ان رهطاً كبيراً من الذين أخذوا بالمذهب الجديد في الجمال اوقفوا في ذلك الحين ، وكان ذلك دليلاً على نهاية العهد الرومنطيقي ، وفشل تمرد الفرد ، وانتصار القوى الاجتماعية في انكلترا . وباسرع من الايماضة اختفت مؤلفات وايلد من المكاتب وابطلت مسرحياته . وفي اثناء المحاكمة قطع الجمهور الدليل على قساوة كان وايلد يتوقعها اذ قال : « ان الجمهور رحب الصدر فهو يغفر كل شيء الا النبوغ ! »

اما القاضي فكان هائلاً ، فلما اصدرت المحكمة حكمها بتجريم وايلد تحول القاضي اليه وقال : « لقد كنت ، يا وايلد ، اداة بشعة للافساد ، لذلك احكم عليك باقسى ما تضع القوانين تحت تصرفي ، بسنتي حبس مع الاشغال الشاقة . »

واذ همّ وايلد بان يتكلم ، امر القاضي باشارة اشمئزاز ان يؤخذ هذا المخلوق القذر . وفي السجن كتب وايلد اجمل مؤلفاته : « من الاعماق » .

وخرج وايلد من السجن في حالة موجعة فقد نقص عشرين كيلو ، ورقّ حتى الهزال . على انه تعلم الرأفة ، فاول ما بدر منه عند اطلاق حريته رسالة الى جريدة « دايلي كرونيكل » يدافع فيها عن حارس صرف من وظيفته لانه اعطى سجيناً صغيراً بضع قطع من البسكوت .

وذهب الى فرنسا فقطن برنفال . وهناك زاره اندره جيد فقال له وايلد :

– هل ادركت كم في الرأفة من الجمال ؟ اما انا فأحمد الله كل مساء . اني احمده على وضعه الرأفة في قلبي . فلما دخلت السجن كان قلبي كالحجر ولم اكن افكر في سوى ملذاتي . اما اليوم فقد انسحق قلبي وفهمت ان الرأفة هي اعظم واجمل شيء في العالم . لذلك لا استطيع ان احقد على الذين حكموا علي اذ لولاهم لما عرفت شيئاً من هذا .

وفي اثناء اقامته بفرنسا اشتدت عليه وطأة داء النقط جرثومته

في السجن . وكان باستطاعته ان يمد اجل حيـــاته بالتداوي فلم يفعل . ومات عام ١٩٠٠ في غرفة حقيرة كالتي زرعت في نفسه الكراهية والمقت حين زار بول فرلين .

هذه نبذة سريعة عن حياة اوسكار وايلد اقتطفناها من محاضرة لاندره موروى . ولا شك في ان اباحية وايلد الجنسية ، هـــذه الاباحية التي انزلت نيران السماء على سدوم وعموره (في التوراة) ، ليست بالسبب الوحيد او بالسبب الاكبر في اثارة سخط المجتمع البريطاني عليه . بل هناك اسباب اخرى ساهمت مساهمة عظيمة في اسقاط رعايته وسحقه ، ولكنها تذرعت بذلك العـامل البشري الشاذ الذي اجمعت على استنكاره المجتمعـات السليمة في كل بلد وتحت كل سماء .

ومن هـذه الاسباب كره طبقة الاشراف للمفكرين الاحرار من طبقة الشعب . فلو ان حادثاً من هذا النوع حصل في فرنسا قبل مئتي سنة ، اي في عهد الامتيازات التي قضت عليها الثورة ، لكان النبيل ضرب الاديب في قارعة الشارع وارسله الى الباستيل كما فعل الدوق ده روهان بفولتير . ومن هذه الاسباب ايضاً ان خصوم وايلد كانوا كثيرين بين معاصريه من النقـــادين والشعراء والصحفيين والكتاب . فقـــد كان وايلد يحتقر معاصريه هؤلاء ويغنم جميع الفرص التي تتيح له تناولهم بفلتات لسانه رغبـة منه

في اثبات تفوقه . وبديهي ان اديباً من هـذا الطراز يكسب خصوماً قـد يتكلفون الضحك ويتظاهرون بالمرح ولكنهم لا ينسون . . .

والعجيب في وايلد انه كان يتحدى حتى شعور العامة جاهلاً ان السواد الاعظم هذا لا بد من ان ينتقم عاجلاً او آجلاً ، وانه لا ينبغي بهرُ الجمهور ببهلوانيات عقلية جميلة ، فالجمهور ينظر اليك باعجاب طاوياً نفسه على رغبة عميقة في ان يراك يوماً تسقط من المرتبة التي ظننت نفسك فيها من طينة غير طينة الآخرين .

وربما كان أهم الاسباب التي ساهمت في اسقاط رعاية وايلد ان هذا الاخير كان ينابذ الدين ويلمز كتبه ويحرّف آياته . وهل باستطاعة الشعب الانكليزي المتمسك باهداب الكتب المنزلة ان يغفر لوايلد مسرحيته المشورة « يهوديت » التي كتبها باللغة الفرنسية رأساً ثم نقلت الى الانكليزية ، وفيها يحرّف كلام القديسين مرقس ومتى ويختلق ليهوديت دوراً لم يذكره الكتاب المقدس اذ يجعل الشهوة المكبوتة في صدر هذه الاميرة هي العامل الذي دفعها الى ان تطلب رأس يوحنا ، بينما العامل الحقيقي هو انتقام امهـا « هيرودّيا » من النبي القديس الذي لم يحلّ لهـا ان تكون لهيرودس ، شقيق زوجهـا فيلبس ؟ والكتاب المقدس هو كلام الله وكل من يحرّف منه كلمة يكفر .

وقف اوسكار وايلد امام القضاء والرأي العام الانكليزي كله يتمنى سحقه : المحـافظون المتعصبون الذين سخر منهم ، ورجال

الفن الذين اسخطهم بمفارقاته وافكاره ، والفقراء الذين احتقرهم واذلهم ببهرجته ، والبورجوازية المتوسطة ، بورجوازية التجار اولي الفضائل المدخولة ، والمقامات الرسمية التي اغضبتها شكواه . فقد كان وايلد من زمن طويل موضع مراقبة الشرطة ، ولكن مدينة لندره وحدها كانت في ذلك العهد تحتوي على اكثر من عشرين الف شخص من علية القوم تراقبهم الشرطة ولكنها لا تزعجهم . . .

كثيرون هم الذين كتبوا عن اوسكار وايلد ، وكثيرون هم الذين تصرفوا في الحديث عنه تصرف القصاصين . ومن هؤلاء فرانك هاريس نفسه الذي كان كلما اجتمع بصديقه جوزيف رينو قصّ عليه بصيغة جديدة نبذة عن حياة وايلد سمعها منه مراراً . وقد ذكر جوزيف رينو ذلك في مقال نشره في جريدة « غرنغوار » العام ١٩٣٧ . ويقول الكاتب في مقاله هذا ان مسرحية موريس روستان هذه التي نقلناها الى العربية هي اقرب كل ما كُتب عن اوسكار وايلد الى الواقع . ففي هذه المسرحية يبدو وايلد ذلك الاديب الذي يعشق الجمال الحسي ولا يتورع عن المخاطرة بحريته وشرفه في الدفاع عن هذا الجمال . واذا نحن اجلسناه في وسطه التاريخي كان بمثابة تمرد عنيف على عصره ، يجمع بين اباحية بيرون وشيلي ، هذين المتمردين اللذين اضطرا الى هجر وطنهما ، واعتدال برنارد شو وولز اللذين لم يُقسط له في مثل قوتها العقلية

وتفكيرهما التوجيهي . سوى انه يبقى اديبـــاً نسيج وحده في التاريخ الانساني ، فقد اراد ان يوفق بين ملذات الحس وملذات الروح فاخفق لان القوة التي وهبتـه الذكاء والظرف ، ووهبته القدرة على الاقنـــاع والقدرة على التسلية ، لم تهبه نعمة الحكم السليم .

الياس ابو شبكه

اشخاص المسرحية

بحسب دخولهم الى المسرح

المركيز ده كنسبيري

رئيس الخدم

اوسكار وايلد

لورد الفرد دوغلاس

فرنك هاريس

صغير الخدم

ادورد كلارك

كرسون

جوستيس كولنس

تشرلي باركر

الفرد وود

المحكم الاول

الحارس

صوت

يجري الحادث بانكلترا في نهاية القرن المنصرم

الفصل الاول

الفصل الاول

(قاعة صغيرة من فندق سافوى عام ١٨٩٥ متصلة بقاعة الطعام . تنفتح احدى النوافذ عن مشهد من مدينة لندن يهبط عليه المساء . عند ارتفاع الستار يرى رئيس الخدم ناظراً من وراء الزجاج . ويشعر الناظر انه بالامكان تناول الطعام من هذه القاعة نفسها .)

المشهد الاول

كنسبيري . رئيس الخدم .

(ينفتح الباب الطرفي بعنف ويدخل منه رجل كأنه ما يزال شاباً ، سوى ان حدّة الصباغ تفضح عليه مكر الشعور والسوالف السوداء . وتحت معطفه الفخم تبدو الاناقة على قميص ازرق منسجم مع ربطة للعنق زرقاء . ويُرى كأنه في يد غضب لا يقوى على قمع سورته .)

كنسبيري — رئيس الخدم !

رئيس الخدم — ماذا ؟

« واذ يتحول بسرعة فيرى مخاطبه يتبدل صوته » :

ماذا في خدمتك يا مولاي ؟

كنسبيري « بدون ان يرد على السؤال » — أتظـــن ان السيد اوسكار وايلد سيأتي الى هنا ، هذا المساء ؟

رئيس الخدم — اكبر الظن يا مولاي ، فقد تعود ان يأتي قبل الرواية او بعدها .

كنسبيري — أيأتي كل مساء ؟

رئيس الخدم — على وجه التقريب يا مولاي ، حين لا يذهب الى « كافه رويال » . اما هذه الايام ففي كل مساء منذ ابتداء تمثيل مسرحيته .

كنسبيري — ألا يأتي وحده ؟

رئيس الخدم — لا ، يا مولاي ، بل يأتي مصحوباً باشخاص آخرين ، احياناً بالسيد فرنك هاريس ، والسيد برنارد شو . . .

كنسبيري — ليسوا اشخاصاً هؤلاء ، بل ادباء وكتّاب . قل لي ، ألا يصحبه ابني احياناً ؟

رئيس الخدم « بتحفظ » — يتفق لي احياناً ان ارى اللورد الفرد دوغلاس مع هؤلاء السادة ، ولكني لست على ثقـــة تامـة يا مولاي ، ثم . . . لست انا الذي يقوم دائماً بخدمتهم .

كنسبيري — اسمع يا فيبس ، أتعرفني من عهد طويل ؟

رئيس الخدم — نعم ، يا مولاي .

كنسبيري — أمستعدٌ انت لتنفيذ جميع الاوامر التي اصدرها اليك ؟

رئيس الخدم — نعم ، يا مولاي ، اذا اتفق . . .

« وتظهر عليه شدة الغم كأنه يعرف كل المعرفة ما ينطوي

عليه المركيز من الطباع المخيفة »

كنسبيري « بعزم فجائي » — اذن فحين يأتي السيد اوسكار وايلد وابني الى هنا بعد هنيهة ارجو منك بالحاح ان تمنعهما من دخول السافوى وان لا تخدمهما بشيء .

رئيس الخدم « مذعوراً » — مولاي . . .

كنسبيري — أفهمت يا فيبس ؟

رئيس الخدم — يستحيل ذلك يا مولاي .

كنسبيري — أمجنون انت ؟ وهل نسيت ما يجب على رئيس خدم انكليزي نحو رجل مثلي ؟

رئيس الخدم — مولاي ، مولاي ، لا تطلب مني مثل هذا . اطلب ما شئت يا مولاي . . . اطلب مني ان اراهن لك يوم الاحد بمئتي شلن على حصان الدوق ده لينستر فاسلفك هذا المبلغ ، وان كنت لن ترجعه الي . اطلب مني ان اجد لك الليلة مقصورة ممتازة لحضور « فوست » في « كوفنت غردن » فاجدها لك وان تكن المقصورات والكراسي قد نفدت كلها منذ اسبوع . ولكن اتوسل اليك ، يا مولاي ، ألا تطلب مني ان اقوم بمثل هذه المهمة لدى السيد اوسكار وايلد .

كنسبيري — احب ان اعرف لماذا .

رئيس الخدم — لان السيد اوسكار وايلد ملك من ملوك لندره يا مولاي . لان السيد اوسكار وايلد مؤلف مسرحي عظيم ، فمسرحيته « اهمية الرصانة » التي تمثل اليوم تغصّ لها الاماكن

بالحضور كل مساء . لان السيد وايلد من احسن زبائني . لان السيد وايلد . . .

كنسبيري – طيب ! طيب ! احتفظ يا فيبس بمن يحلو لك من الزبائن . لكن اذا كنت لا تستطيع القيـــام من قبلي بمهمة توحيهـــا الحشمة نفسها فلا إخالك ترفض ان تسلم الى السيد وايلد هذه الورقة .

« يكتب بضع كلمات بسرعة وبقلم رصاصي ويناوله اياهـا في غلاف » :

لا اخالك ترفض ان تناوله هذه .

رئيس الخدم – لا ، يا مولاي .

كنسبيري – اراك تعباً .

رئيس الخدم – نعم يا مولاي . فانا لست سوى رجل مسكين ، رجل من الشعب ، اسمع ما يروج من الاخبار وما يقال هنا وهناك . . . ولكني لا افهم لماذا تبغض السيد اوسكار وايلد هذا البغض . فالسيد اوسكار وايلد شاعر عظيم ، ولا يبدو لي انـــه بامكان شاعر ان يخطىء الى حد كبير . عفواً يا مولاي ، لا اجهل ان هـذا الامر لا يعنيني ، ولكني لو كنت مكانك لما ازعجته . فالسيد وايلد ليس شريراً . ولو كان شريراً لما كتب اشياء كان بوسعه ان لا يكتبها . اشفق عليه يا مولاي . . .

كنسبيري – اراك لا تفقه ما تقول يا فيبس ، فالسيد وايلد لا

يوحي الشفقة الى امرىء سليم ، وسأنال منه ! أتسمع ؟ سأنال منه ؟

(ويذهب خابطاً البـــاب وراءه . ويبقى فيبس هنيهة تتنازعه عوامل التردد والاضطراب . ثم ينفتح الباب الايمن ويدخـل اوسكار وايلد واللورد الفرد دوغلاس . الاول طويل القامة ثقيلها يرتدي بزة تسترعي النظر ، على ربطة عنقه دبوس غليظ ، وفي عروته زهرة . امـــا دوغلاس فابيض البشرة شاحبها تبدو عليه ملامح حداثـة السن . وهو يتكلم بحدة متناهية .)

المشهد الثاني

اوسكار وايلد . اللورد الفرد . فيبس .

اوسكار وايلد – عم مساء يا فيبس ! سهرة جميلة ، هات لنا في الحال زجاجة شمبانيا مع حواضر . . .

فيبس – نعم يا سيد وايلد .

اوسكار « ينزع عنه معطفه المبطن بالفرو » – كانت سهرة جميلة حقاً يا بوزي . ليتها لم تنته ! لا شك ان ثمة اياماً ما اجمل لندره فيها . انها لتفتقد حقاً في الايام التي تُسئم فيها هذه المدينة حتى لنعطي اي شيء يطلب منا لقاء اخراجنا من امة الانكليز .

اللورد الفرد – لمن تقول ذلك يا اوسكار !

اوسكار – أتعلم يا بوزي ان ما يجعل لندره احياناً بهذا المقدار من البشاعة هو ان نرى جميع هؤلاء الناس يقومون بواجبهم ؟ فهم في كل مكان ، ويستحيل اجتنابهم . ان الشعور بالواجب لأشبه بمرض خبيث ، فهو يخرّب انسجة الدماغ كما يخرب بعضُ العفونات انسجة الجسد . ولكن ما لنا ولهذا فالسهرة كانت جميلة يا بوزي . وما تركنا المسرح الا لان التمثيل كان من الرداءة بحيث لم يسبق للممثلين ان احرزوا من النجاح

ما احرزوه الليلة . الحق اقول لك ان كل شيء كان جميلاً اليوم : النزهة في الغاب ، والشمس على كل ما يقع النظر عليه ، والمركيزة ده ريبون بثوبها الوردي كأنها فتاة في الثمانين . . . ويخيل اليّ اننا لو لقينا الملكة ، لو لقينا الملكة نفسها لاحتملتها .

اللورد الفرد « مبتسماً » — هذا يدل على انك في الواقع منشرح الصدر .

اوسكار — ولمَ لا ؟ فثمة ايام يستفيق فيها المرء سعيداً . فكل شيء يبدو في هذه الآونة كأنه يتهيأ لاجلي . فالناشر يطلب مني قصيدة جديدة ، وزوجتي لا تطلب مني ان احبها كل مساء ، ومسرحياتي بدأت تدر مالاً ، فما رأيك يا بوزي ؟

اللورد الفرد — كنت اعتقد ان المسرحيات الرديئة هي وحدها التي تدر مالاً . ألم تقل انت نفسك ذلك ؟

اوسكار — كنت اظن ذلك في الماضي ، ولكن الآراء تتبدل . ثم اني لست واثقاً ان مسرحياتي حسنة .

اللورد الفرد — مع انك لا تقول ذلك ، ففي الليلة الاولى لتمثيل « مروحة اللادي ويندرمر » هتأت الجمهور الذي استحسنها بحسن ذوقه وصرحت بانك سعيد بمشاطرته اياك استحسان هذه المسرحية .

اوسكار — كان ذلك طريقة من طرق الاستهزاء بالجمهور ، فالجمهور غبيّ ، والجمهور الانكليزي اشد غباوة من سواه ،

فهو لا يحب في الواقع الا الالعاب البهلوانية . الحق بجانبك ، فسأبدأ بالشك في مسرحياتي اذا بدأت هي باحراز الفوز .

« منادياً » :

فيبس ، ألم تأت بالشمبانيا بعد ؟

فيبس — في الحال يا سيدي .

اوسكار — غريبٌ الليلة امر هذا الرجل يا بوزي ، فهو كأنه يحمل في صدره نبأ مزعجاً لا يُحسن بثنا اياه . وهل من الحق في شيء بث انباء مزعجة في ليلة كهذه زرقاء ذهبية كلوحة من « ويستلر » ؟

اللورد الفرد — كنت اظن انك لا تحب ويستلر .

اوسكار — لا احب لوحات ويستلر التي يصنعها ويستلر ، ولكني احب منها التي تصنعها الطبيعة . وثمة امر عجيب يا بوزي ، أتعلم ان الطبيعة تقلد المصورين ؟ فليالي لندره لم تصطبغ بهـــذه الالوان الذهبية الا منذ « تورنر » . . . سيكارة ؟

اللورد الفرد — شكراً .

اوسكار — هذه السكاير ارسلتها اليّ ساره برنار .

اللورد الفرد — بهذه المناسبة ، هل قررتْ تمثيل « يوديت » ؟

اوسكار — كيف لا تمثلها وقد كتبتها خصيصاً لها ؟ اما اليوم فهي تمثل لساردو وقد اصاب عزيزنا بوير بأخذه عليها ذلك . نعم ، ستمثل « يوديت » ، واذا لم يسمح لها بتمثيلها في انكلترا فستمثلها في فرنسا .

اللورد الفرد – ثم انك كتبتها باللغة الفرنسية .

اوسكار – أتعلم بماذا افكر يا بوزي ؟ لي ميل الى التجنس بالجنسية الفرنسية .

اللورد الفرد – هذه بدعة جديدة . . .

اوسكار – انا لست في الواقع انكليزياً بل ارلندي ، وكلا الاثنين يختلف عن الآخر كل الاختلاف . . . جرعة اخرى من الشمبانيا ؟

اللورد الفرد – الاحظ من مدة انك صرت تشرب كثيراً .

اوسكار – اؤكد ان هاريس قال لك ذلك .

اللورد الفرد – انا لا اتكلم ابداً مع هاريس ، فهو يبغضني ولا احبه .

اوسكار – عجيب امرك يا الفرد ، ففيك قوة للحقد عجيبة . وجهك كوجه نرسيس ، ولكن فيك احياناً قساوة اشبه بقساوة الرخام . فكيف يمكنك ان تحقد على الناس ؟ اما انا فاظن انه ليس في الدنيا امرؤ يهمني الى حد يحملني على الحقد عليه . ان الحقد اهتمام .

اللورد الفرد – اذا كان الامر كذلك فلندره تهتم بك الى اقصى حد .

اوسكار – أتعتقد ان الناس يبغضونني ؟

اللورد الفرد – قد لا يكون اليوم في لندره انسان يبغضه الناس مقدار ما يبغضونك .

اوسكار – ألا ترى يا بوزي ، ان الحقد زهرة عطرية جميلة تنبت من تلقائها على صدرنا فلا نكلف انفسنا الذهاب الى بائع

الازهار للاتيان بها ؟ ألا تحب الحقد يا بوزي ؟ فالحقد شكل انكليزي من اشكال الحب .

اللورد الفرد – لو ان روبرت هتشنس هنا لقال انه زهرة خضراء .

اوسكار – لا تلمّح الى ذلك الكتاب الرديء ، فهتشنس لم يفهم شيئاً من شيء . بل تعال نتكلم عن شعرك ، فقد كتبت في الحقد ابياتاً على جانب كبير من الجمال .

اللورد الفرد – أتعني قصيدتي في والدي ؟

اوسكار – حين يتناولك الناس بكلام رديء اتذكر هذه القصيدة . وحين يتفق لي ان اسيء بك الظن اقول في نفسي انك رغم كل شيء شاعر .

اللورد الفرد – اندره جيد نفسه يعترف بذلك .

اوسكار – بوسعك ان لا تكون الا جميلاً يا الفرد ، ولكنك شاعر ايضاً ، تبتسم كالولد لكل ثناء يقال فيك . . . بل شاعر كبير أوتيت في اختيار اللفظة الشجية موهبة ترفعك الى مستوى اكبر الشعراء .

اللورد الفرد – يلذ لي سماع هذا منك يا اوسكار ، واتمنى ان يكون صحيحاً ! فاي خلود اجمل من ان تبقى بعد موتنا ابيات كتبناها تخفق على شفاه البشر وتخاطبهم باسمنا ! ان انكلترا لا تقدر قدر هذا . فالانكليز لا يفقهون انه قد يكون لسطر واحد من الشعر قيمة ليست لحملة طويلة ولعشرة انتصارات . ومع هذا فبيت واحد لشكسبير او لكيتس أخلد

من الامبراطورية البريطانية وافيد منها للانسان .

اوسكار – اعرف ابياتاً لدوغلاس ليست دون ابيات شكسبير .

الفرد – اذن حين تمر الايام ويطمس غبارُ القدم حتى قبرينا يا اوسكار ، أتعتقد ان الناس اذا سمعوا شعراً لنا يواصلون اضطهادنا لما سلكنا في الحب ويهينون رمادنا ؟ أتعتقد انهم لن يتركوا لنا راحتنا وان شعرنا لن يكفي للدفاع عنا ؟

اوسكار – مهما يكن من امر فاني اعرف ان شعرك جاءني بشيء . وكثيراً ما اعتقدت بانك اشعر مني في طريقتك . . .

الفرد – ما خطر لك ذلك الا في ايامك الوادعة ، وما اندرها لحسن الحظ .

اوسكار – انها اندر مما تتصور . . . اجل يا الفرد ، كثيراً ما قلت في نفسي انك جئتني بشيء وان هذا الشيء يجب ان يحسب لك . فالمقادير ، في حياة غريبة كحياتنا ، تستخدم مخلوقات وتجعلها – على طريقتها – من هبات الحكمة الالهية . فثمة اشياء ما كتبتها لولاك ، ووجوه لولاك ما وصفتها . . . فانت لست في « صورة دوريان غري » فحسب ، وليس في هذه الصورة كل شبابك وحسب ، بل انت ايضاً يا الفرد ، من شعري في نغمة اعذب وفي شجى اصفى تذوقته في شعرك واحسسته . . . ألا اسمعني ابياتك في « الحبين » ، فهي من الجمال بحيث احب ان اسمعها مرة اخرى .

الفرد – لا ادري أأذكرها ام لا . . .

اوسكار – انها تبدأ بعذوبة كلحن لشوبير :

« حلمت اني على الهضبة الشاحبة . . . »

الفرد – تذكرت . . .

« كلما القى مقطعاً خلع على وجهه نقاوة متناهية »:
حلمت اني على الهضبة الشاحبة ، في مكان من الغرابة والجمال بحيث اذا هبط المساء يتمنى المرء ان يكون له نعيماً او يكون له قبراً !

وبصرت فجأة في حديقة حلمي بشابين على جانب كبير من الجمال والتشابه ، احدهما اشد غبطة ومرحاً من ربيع في آخره، والآخر لا يحمل في مقلتيه الا دموعاً .

فلما رأيته يبكي قلت له : « ايها الفتى ، لماذا جئت حزيناً الى هذا المكان السعيد ؟ قل لي ما اسمك ؟ » فاجابني بهدوء : « انا ادعى الحب ! »

فاستشاط الآخر غيظاً وتحول اليّ صارخاً : « انه يكذب ! انه كذاب ! فاسمه العار لا الحب . . . اما الحب فانا وحدي ، انا وحدي حب جميع العشاق الصادقين .

انا وحدي الحب الذي يُفرح القلوب ويقرب بين الفتاة والفتى . » فقال الآخر في تنهدة : « لتكن مشيئتك ، فانا الحب الذي لا يجرؤ على ذكر اسمه ! »

اوسكار – انه لجميل هذا الشعر يا الفرد ، بل هو من الجمال بحيث ان جميع الناس ينسبونه اليّ .

الفرد – هذا اعظم ثناء يستطيع الناس واوسكار وايلد ان يسبغوه علي .

اوسكار – مع انه لك يا بوزي . انت الذي كتب هذا الشعر الصافي الكئيب ، هذا الشعر الزاخر بهذا القدر من العمق والشباب والالم . لقد كتبته في احد ايام ايلول بسهولة كما يغرد البلبل ، وتمتلىء غرسة الورد بالورد ، او كما ينعكس الهلال مرتعشاً في الساقية . ايها الفتى الملاك الذي هبط الي لامر ما ازال اجهله ، كيف يمكن ان لا يبغضنا الناس ؟ فانكلترا العجوز تعرف كل المعرفة ماذا تصنع . فهي لا تغفر لي ان اكون سقراط اكثر مما تغفر لك ان تكون ألسيبياد .

« يدخل فيبس » .

فيبس « بعد ان يتردد طويلاً » – عفواً يا سيد وايلد ، لم اجرؤ وانت داخل ان اناولك هذه الرسالة من المركيز ده كنسبيري .

الفرد « واثباً » – من المركيز ده كنسبيري ؟

اوسكار – لا داعٍ لمثل هذا الجزع يا بوزي . . . فوالدك رجل مسكين لا اخالك تعتقد انه يخيفنا .

الفرد « بعد سكوت قصير » – فض الغلاف ! عجل ، فض الغلاف !

اوسكار « يحاول ان يظهر بمظهر الهادىء فلا يقوى على قمع اضطرابه » – هل من حاجة للاسراع في فض رسالة ؟ بوزي ،

بوزي ، لست في الرابعـــة والعشرين من عمرك ، بل انت في السادسة عشرة . فماذا تريد ان يكون في هذه الرسالة مما لا اعرفه ؟ فليس في الرسائل شيء مجهول ، حتى في رسائل الدائنين .

الفرد – لا افهم لماذا تبطيء الى هذا الحد في فض هذه الرسالة .

اوسكار – لا يمكن ان يكون لهـــذه الرسالة اية اهمية . ففي العالم شيء واحد له اهميته ، يا بوزي ، هو الثناء . فالثناء هدية رائعة تقدم مجاناً . وثمة انواع من الثناء توفر السعادة طول الحياة . واؤكد لك ان في هذه الرسالة شتائم ، فلماذا تريد ان اسرع بفضها ؟ خذهـــا وفضها انت بنفسك . فاقـل ما يزعجك في رسالة ان تحمل شخصاً آخر على فضها .

الفرد « يفض الرسالة بحركة عصبية عنيفة ويقرأها » – يا للجسارة ! اقرأ هذا يا اوسكار . . . في يقيني ان رجلاً مثلك لا يترك رسالة كهذه بدون جواب . وآمل منك هذه المرة ان تطلب من العدالة الانكليزية حمايتك من امثال هذه الشتائم النكراء .

اوسكار « بدون ان يلقي نظرة على الرسالة » – غريب شحوبك يا بوزي . . . من الناس من يشحب من شدة الحب ، وانت تشحب من شدة الغضب . لا شك انك تضمر لوالدك حقداً عميقاً . . .

الفرد – اني ابغضه للتعـاسة التي انزلهـا بامي واخوتي ، ولما يحاول الآن انزاله بصداقتنا .

اوسكار – ان الانسان يكبر بالحقد الذي يوحيه لا بالحقد الذي ينشقه . فلا احب ان اراك بهذه الصورة يا بوزي . حين القي

نظرة على هذه الرسالة والتقط الاهانة الموجهة اليّ ، اشعر باني لست سوى ذريعة لذلك الحقد القائم بينك وبين والدك وبان هذا الحقد سيورثني بعض الشقاء .

الفرد « مستغرباً لهجة اوسكار » — كيف تقول ذلك ؟

اوسكار — لقد فوجئت الآن بهذا الشعور كأنه من تلك النُذر السرية التي يُلهمها المقدور . أفلم اقل لك احياناً انك تهدم حياتي ؟

الفرد — اوسكار !

اوسكار — وكنت دائماً تضحك من هذا القول . . .

الفرد — لانك انت نفسك لا تستطيع تصديقه يا اوسكار . أفلستُ الى جانبك ولداً تسميه الامير زهرة الزنبق ؟

اوسكار — ان ازهار الزنبق تسبب الشقاء والتعاسة ، وليس لك الا ان تسترجع تاريخ فرنسا .

الفرد — هذه كلمة وليست حقيقة . . . ومهما يكن فنحن الآن تجاه امر لا يصح السكوت عنه . فقد صرنا لا نستطيع دخول مكان من الاماكن العامة من غير ان يطاردنا فيه والدي ويطردنا شتائم شنعاء . فهذا لا يخلصنا منه الا الشرطة !

اوسكار — بوزي !

الفرد — ماذا ؟

اوسكار — هل فكرت في شيء يا بوزي ؟ هل مر في بالك ان افظع ما في شتائم والدك هو انها صحيحة ؟ بل اقول ان

الفرد دوغلاس في الثالثة والعشرين من عمره

افظع ما في هـذه الشتائم هو انها لا تذهب الى ابعد من الحقيقة . ما من نار بلا دخان ، ولا من فضيحة بدون حب .

الفرد — اوسكار !

اوسكار — ماذا يأخذ علي والدك ؟ ماذا يقول والدك في الرسائل المرهقة التي يمطرني بها ؟ « الى اوسكار وايلد الذي يتظاهر بالسدومية . . . » بوزي ، بوزي ، من يعلم ان كلمـة « يتظاهر » ليست في غير محلها ؟ وفي الواقع ماذا يأخذ علي والدك ؟ العاطفة التي اشعر بها نحوك .

الفرد — واي شأن في هـذا لرجل لا اخطر في باله الا ليهزأ بي ويحقّرني ، ويتعدى اليوم ذلك الى بث الفضيحة حولي ؟

اوسكار — انه يأخذ علي العاطفة التي اشعر بها نحوك ، يا بوزي ، ويقول ان هذه العاطفـة هي من الحب . أمخطىء ؟ فما هي هذه العاطفة في الواقع ؟ منذ ذلك اليوم من العام ١٨٩١ ، يوم جاءني بك ليونيل جونسن الى بيتي في تيت ستريت ، هل صدر عني غير الحب لك ؟ تذكر ذلك بدون خبث . . . كنت عهدئذ في السنة الثانية باوكسفورد ، وكنت مقيداً في مجدلين المعهد الذي عرفتُ فيه روسكن وباتر في حداثتي . كم كنت جميلاً في حداثتك تلك ؟ كنت في العشرين من عمرك ، ولكن طراوتك كانت تظهرك في دون السادسة عشرة . وكان فيك ضوء من شدة الاشعاع والتألق بحيث يشحب كل شيء حوله .

الفرد — اصمت يا اوسكار ! فبكلمات كهذه قد تكون اطلقت

في نفسي قوى رديئة . لقد نظرت كثيراً في المرآة التي جئتني بها واصغيت الى بدعك كأنها آيات انجيل جديد . اصمت . . .

اوسكار « بدون ان يصغي اليه » — آه ! اية فائدة من ترديد الاشياء التي نعرفهـــا والتي تسربت الي ثم غمرتني ؟ بوزي ، بوزي ، ان والدك لم يكذب . فانا احبك في الحقيقة . وفي الحقيقة كنتُ سقراطاً جديداً لأُسيباد جديد .

الفرد — ليس للشرطة اي شأن في هـذا ! فوالدي لا يملك اي اثبات لما يؤكده . . . اوتعتقد ان محكمة انكليزية مهما تكن مخيفة تحكم على ملك لندره بسبب عاطفة يشعر بها نحو صديق له ؟

اوسكار — تذكر تغفّلك يا بوزي ، تذكر تلك الرسالة . . .

الفرد — اية رسالة ؟

اوسكار — الرسالة التي سلبت منك . احدى رسائلي الاولى اليك . تذكر كيف ان ذلك البائس « ألان » جاء يساومني ليردها الي .

الفرد — وماذا في ذلك ؟ هل هي الا رسالة من شاعر الى تلميذه ؟ قبل ان يحكم عليك بسبب رسالة كهذه كان يجب ان يحكم على شكسبير بسبب كلٍّ من قصائده . لا ، فوالدي لن يتمكن من الحصول على اثبات ، وستنتصر انت . فاذا رفعت عليـــه دعوى طعن وقدح فلا بد للقضاء ان يحكم عليه بالسجن سبع سنوات لافتراءاته المعيبة .

(ينفتح الباب الايمن ويظهر فرنك هاريس) .

المشهد الثالث

اوسكار وايلد . الفرد دوغلاس . فرنك هاريس .

هاريس – آه ! حظي كبير في ان اجدك يا اوسكار . كنت اتوقع وجودك هنا .

اوسكار – انا على الغالب الكثير هنـــا في مثل هذه الساعة . وهذه القاعة الصغيرة تخلى لنا كأنها ملكنا . ولكن ما بك يا فرنك ؟ اراك منفعلاً .

هاريس – بما انك تجيء الى هنا كل مساء بعد الرواية فقد عملت وثبة رجاء ان اراك .

اوسكار – المكان جميل يا فرنك . ففي مثل هذه الساعة تفرغ جميع القاعات ، ويفرد لنا سيزاري هـذه القـاعة الصغيرة . وكثيراً ما نعرّج ، بوزي وانا ، فنصرف هنا بضعة ارباع الساعة قبل ان نذهب للعشاء عند ويليز . . . والآن قل لي ما بك ؟ كنت كأنـك شديد الحاجـة الى الاهتداء الي فلما وجدتني سكت .

هاريس – ذلك ان . . .

الفرد – أتراني ازعجك يا سيد هـاريس ؟ اذا كان ذلك فما لك الا ان تقول كلمة فأدعك مع اوسكار . انا لا اجهـل انك

ما احببتني قط كثيراً . . .

هاريس — لا ، لا ابق اذا شئت . فمـــا اود ان اقوله يعنيك مقدار ما يعني اوسكار .

الفرد — صحيح ؟

هاريس — حدثني عن والدك .

الفرد — لا حديث الا حديثه في هذه الايام . الحقيقة ، يا اوسكار ، ما خطر لي في بال ان والدي سيكون بهذا المقدار من ذيوع الصيت .

هاريس « لاوسكار » — لا اخالك يا اوسكار تجهـــل تصرف المركيز ده كنسبيري . ومنذ اسابيع تفاقم موقفه الاستفزازي منك الى حد التهديد . على انك تجنبت مرة التعرض لجنونه !

الفرد — برافو ! سيد هاريس . للمرة الاولى منذ قدومك الى هنا اسمعك تقول شيئاً معقولاً . كلبٌ كلبٍ يجب على الملكة ان تحمي تاجها منه .

اوسكار — أكمل ، يا فرنك .

هاريس — وهو اليوم يتنقل في كل مكان هائجـــاً كالبركان ، مؤكداً انه سينال منك ، ويرغمك على الرد عليه . ومنذ ساعة كان يتبجح بانه بعث اليك الى هنا برسالة سترغمك على الخروج من صمتك . . . واوصل الى « ألبرمال كلوب » بطاقة بوسع جميع الناس ان يقرأوهـا قبلك ، وهي تجعلك في موقف لا يمكن الصبر عليه .

اوسكار – لم اعرف بهذا الامر الاخير ، ولكنك لم تزدني علماً بتصرف هذا المركيز الممتاز .

الفرد – على ان موقف اوسكار تقرر نهائياً .

هاريس – اي موقف ؟

اوسكار « بعد تفكير » – سأرفع على كنسبيري دعوى قدح وذم ، واعتقد جيداً اني سأكسبها .

هاريس – ماذا تقول ؟ ! بحق السماء لن تقدم على عمل من هذا النوع . لقد احسنتُ في المجيء اليك لاحولك عن هذا العزم .

الفرد – وماذا تريد ان يفعل ؟

هاريس – اوسكار ، اوسكار ، ان العدالة الانكليزية لا تضمن لي اي امان ، واني لعلى شبه اليقين ان هذه العدالة هي شرّ عدالات العالم المتمدن فيما يختص بالفن والسلوك ! لذلك لا ينبغي لك باي وجه ان ترفع دعوى على كنسبيري لانك ستخسرها لا محالة .

اوسكار – ماذا تقول ، يا فرنك ؟

هاريس – تذكر حادث ويستلر وروسكن . فقد كان من حق ويستلر ان يكسب ، ولكن روسكن هو الذي كسب ، مع ان خطأه كان فاضحاً . فلا تطلب من قاض ان يبصر الفن على مألوف الحال ، والمستقبلَ على المزاعم . فالمحكمة الانكليزية كاملة حين يكون ثمة رجلان عاديان يتنازعان على مصلحة عادية . ان جميع محاكم الارض ما جُعلت الا لاجل

هـــذا . اما اذا عرض الحكم في امر رجل كويستار او في آداب امريء من اولي الفن فليس ثمة قاض يستحق رأيه اي احترام في هذا الباب . ان المحكمة متأخرة الف سنة عن القاضي .

اوسكار – ربما كان ما تقوله صحيحاً يا فرنك ، ولكن المقدور اطلق لجيادي العنان فجرّت وراءها مركبة مصيري الخفيفة ، ولا بد لي من اللحاق بها . . .

الفرد « بتشنج » – للامر حل وحيد وهو الشكوى على والدي وتسكير فمه بالحكم عليه .

هاريس – انك لا تدرك ما تقول يا اوسكار ، وعلى جميع اصدقائك ان يمنعوك عن اقتراف هذا الجنون البـــالغ . اسمع . ان كنسبيري يتصرف تصرف الحيوان . . . ولكن المزاعم تنقلب عليك . فتقول هذا اب يسعى لحماية ابنه من امريء مفسد .

الفرد – ابنٌ لم يكف عن الحقد عليه ، ويعـــامله دون معاملته لاي غريب . . .

هاريس – ان العدالة الانكليزية لا يمتد نظرها الى هـذا الحد . فاذا اخطأ كنسبيري فيرد الناس خطأه الى شدة غيرته الابوية . ويجب ان تكون قديساً ، يا اوسكار ، لتستطيع الانتصـــار عليه في انكلترا .

اوسكار – جميع الذين اتعامل معهم ينصحون باقامة الدعوى .

هاريس – ذلك ان جميع اصحاب المعاملات يعيشون من الجدل والنزاع . فما يجلب لك القذر يجلب لهم الغنى . بحق السماء ،

لا تدع نفسك تنحدر الى هذا المزلق . بل اصغ الى صوت محبتي الذي يكلمك .

اوسكار – ولكن كيف يمكنني ، يا فرنك ، ان اصبر على مثل هذه الاهانة ؟

الفرد – يجب عليه ان يأتي امراً .

هاريس – هذه مسألة اخرى . لنبحث اذاً في ما يجب عمله ، ولنضرب صفحاً عن الدعوى . فكنسبيري يستفزك لقتال ميت ، لقتال لا بد لك ان تخسره ، والانكليز يحتقرون المغلوب . لا تنتحر يا اوسكار !

الفرد – ماذا يثبت لك انه سيخسر ؟ ان والدي يرهقنا باراجيف ذميمة ، فهل بوسعه ان يثبتها ؟

اوسكار – يقول الناس انه سيستند في المحكمة الى ما في بعض مؤلفاتي من سوء الآداب ، وفي جملتها صفحات من كتابي « صورة دوريان غري » صورتُ فيها عبادة المصور لنموذجه .

الفرد – لا اخالك انت نفسك تخفى عليك سخافة امثال هذه الشتائم ، فبأدلة كهذه كان شكسبير أرسل الى السجن .

هاريس – وما ادراك انهم لو استطاعوا لامتنعوا ؟ اني اخشى دائماً ان تدفع سلامة القلب شاعراً عظيماً او رجلاً عظيماً الى ان يفسح للقلة والضعة سبيل معاقبته على عظمته . ولكن لو لم يكن هناك الا المؤلفات ، يا اوسكار ، لما خفت . فهناك شر منها لسوء الطالع .

اوسكار – ماذا هنالك ؟

هاريس – رسائل .

اوسكار – اية رسائل تعني ؟ هل هي الرسائل التي وجهتها الى اللورد دوغلاس وسلبت منه ؟ صحيح ! ألم اقل لك ، يا بوزي ، ان ثمة رسائل ؟

الفرد – وما في هذه الرسائل من الخوارق ؟

هاريس – اذن أفهم المحكمة اذا استطعت لماذا قبلتَ مساومة « وود » على استرجاع هذه الرسائل لو لم يكن فيها اشياء خارقة .

اوسكار ، اوسكار ، لا ترتكب هذا الجنون ، هذا الانتحار ! انك تخيفني . يخيل اليّ انك ، بنوع من اللاوجدانية المقصودة تريد ان تقتحم المقدر لك وتهلك نفسك بنفسك ! على اننا نحن الذين نحبك ونعجب بك لا يسعنا صرف النظر عن مثل هذا التهور الكارث . لا ، لن نأذن بوقوعه ! تذكر ، يا اوسكار ، انك ستكون امثولة للاجيال المقبلة . فاذا خسرت ، وستخسر ، تضاعف المتاعب والعراقيل التي يعانيها الاحرار من كتاب انكلترا . ويعلم الله كم يقاسون في هذه الساعة . فلا تؤخر سير العقرب خمسين سنة اخرى .

اوسكار – وبماذا تنصح لي ؟

هاريس – انصح لك بالرحيل . ويشاطرني هذه الفكرة برنارد شو وهو رجل عاقل . انصح لك بان ترحل مع زوجتك . . .

اوسكار – ان اهرب . . .

هاريس – هذا هو الحل الوحيد اذ لا تستطيع ، لا يحق لك ان تعلن حرباً على كنسبيري . ولا اجهل فكرك : فمن الصعب عليك ان لا تعلن هذه الحرب وان تواصل حياتك في انكلترا . فكنسبيري يستمر في مهاجمتك ويرغمك على قبول قتال يرغب فيه لانه يعلم انك ستخسره ! فارحل واصحب معك زوجتك كستار لك . وقبل ان تذهب وجه الى جريدة « التيمس » واحدة من تلك الرسائل التي لا يحسن كتابتها احد مثلك . واذكر فيها كيف اهانك كنسبيري ، وكيف توجهت فوراً الى القضاء للتعويض عن تلك الاهانة ، ولكنك ما لبثت ان فهمت ان دعواك لن تفيد لانه ليس ثمة اية محكمة انكليزية تعمد الى تجريم والد مهما بلغ ضلاله . لذلك رأيت ان الحل الوحيد هو الرحيل وترك الميدان للورد كنسبيري ولما يملك من ادوات التعذيب . فانت مبدع جمال ولست مقاتلاً . اما ان يجد المركيز ده كنسبيري لذة في الصراع فهذا حق من حقوقه ، كما انه من حقك ان لا تقاتل والداً في احوال من هذا النوع .

اوسكار « مرتبكاً » – صحيح ! الحق في جانبك ! فانا مبدع جمال ولست مقاتلاً . . . أجل ، الحق في جانبك .

الفرد « بجدة » – اذن ! أيكفي ان تصغي الى اول قادم لتتحول عن رأيك ؟ اما انا فاقول لك ان المعركة ليست خاسرة كما تزعم . فما لا بد منه ان يعلم الرأي العام في انكلترا من

هو والدي . وما لا بد منه ان يثبت للناس ان عاطفته نحوي ورغبته في انقاذي ليستا سوى خبث ورياء ، وان الغاية التي يريد الوصول اليها هي تعذيب زوجته وهدم سمعة ولده !

هاريس – لا تصغ الى ما يقول ، يا اوسكار . . . » يتحول الى دوغلاس » ألا ترى انك في هـذه الآونة لا تفكر الا في حقدك على والدك وفي حقده عليك ؟ ألا ترى ان اهداف هذه المعركة هي مجد اوسكار وايلد وسمعته وربما حريته ايضاً ؟ ولنفرض ان ثمة نصيباً في ربح معركة من هذا النوع فالخطر الفظيع في خسرانهـا يجعل خوضها مستحيلاً . فكر دقيقة يا اوسكار ، فكر في ما جمّعت حولك طوال سنين من الوان الحسد والخصومة والحقد ! فالآلهـة اعطتك كل شيء . ومنذ بيرون الى اليوم لم ينل امرؤ في حياته مثلما نلت . فعندك موهبة ، ولو لم تكن هنا الآن ، لقلت عبقرية . ولك اسم شريف ، ومقـام اجتماعي رفيع ، وجرأة ادبية تفوق حد الوصف . ولم يسبق لاحد قبلك ان اقدم بمثل ظرفك وبهجتك على تحدي المبادىء الصارمة ببدعة او بنقدة حادة . افتطلب اليوم من هذه المبادىء التي تحديتها على هـذا الوجه ان تحكم لك او عليك ؟ تذكّر انك استفززتهـا بجميع الطـرق ، بحياتك وجسارتك ولسانك !

اوسكار – ألا تعتقد ان هذه القيم نفسها تجعل لي نصيباً في الفوز ؟

هاريس – حين يُطلب حكم العاديين من النـاس لا يفوز الا

القلة والضعة . فهؤلاء العاديون يعاقبونك جهراً على اخطائك ، اما في قلوبهم فيعاقبونك على نبوغك .

الفرد – اذا كنت تزعم انك بمثل هذه البراهين تستطيع تحويل اوسكار عن الطريق الوحيد الذي يجب سلوكه فلم يبق لي الا ان انصرف .

اوسكار – بوزي . . .

الفرد – له ان يفعل ما يروقه . على انك بتصرفك هذا لا تنهج كما يجب ان ينهج صديق لاوسكار !

(يذهب ضارباً الباب) .

المشهد الرابع

اوسكار . هاريس .

هاريس – يظهر ان تصرف الفرد قد آلمك .

اوسكار – ان العنف يخيفني يا فرنك .

هاريس – لا اعتقد ان هذا العنف سينتصر عليك بل انك ستنزل على نصيحتي كصديق صدوق . فدوغلاس ينهج نهج الاولاد . وهذا اقل ما يقال عنه .

اوسكار – فرنك . . .

هاريس – ماذا ؟

اوسكار – انك تكلمني بصوت العقل ، اما الفرد فيكلمني بصوت المقدر .

هاريس – ماذا تعني ؟

اوسكار – اعني ان ثمة دقايق غامضة في حياة الانسان يسمع خلالها ، فوق جميع الاصوات البشرية ، صوتاً اعظم من جميع الاصوات الاخرى هو صوت المقدر له . فحين اجتمعت بأندره جيد لعهد خلا في مصر أخذ ، على ما يظهر ، بعبارة قلتها له وهي : « يجب ان يقع الآن امر . . . »

هاريس – اوسكار !

اوسكار – والآن ربما ينتظر وقوع امر . فحياتي لم تكن حتى اليوم سوى فتنة ادبية في غمرة من الطرب ، تمثلت في زين فخمة وازياء براقة . وكانت على جانب جميل من السطحية . اما الآن فيجب ان يقع امر ، اذ لا يمكن ان يستمر تمثيل الرواية على هذا الوجه ، هذا الوجه الفاتن الغريب . وربما كان لا بد من وقوع امر فاجع لتتخذ حياتي وجهها الحقيقي .

هاريس – أهكذا تسمي ذلك الجنون العرف ، تلك الوقفة في قضية خاسرة حتماً يعقبها على الغالب الكثير الحكم عليك ؟ ألم تحسب هـذا الحساب وهو انك اذا خسرت دعواك على كنسبيري ، واذا اقدم كنسبيري على استعمال حقه في اثبات ما يؤكده ، تخسر حريتك الى الابد ، فينتزع منك اولادك وتودع السجن ؟

اوسكار – من يدري ! ربما كان هذا الذي اطمح اليه في اعماقي المجهولة .

هاريس – انت مجنون !

اوسكار – اي امرىء يعرف مطامحه العميقة او مقاصده السرية ؟

هاريس – صرت لا افهمك .

اوسكار – منذ اشهر عديدة وانا لا افهم نفسي .

هاريس – اذن سأستخدم كل قواي لاحول بينك وبين تهورك وامنعك من الذهاب الى حيث هلاكك .

اوسكار – لا شيء يستطيع الوقوف في وجه القدر . فقد كتب

لي ان اكون في خاتمة هـذا القرن صورة وقحة من صور اللذة ، وان ابدع لهذه اللذة بدعة جديدة . فان يكن اليوم آن اوان مصيري فكيف تستطيع انت او استطيع انا منعه من التحول ؟ لقد جئت لأتعلم لذة الحياة ولذة الفن . وربما دعيت الآن لان اتعلم شيئاً اروع واعظم : معنى الألم ومعنى جماله !

هاريس – أتعني ان المقدر لك يطلب مجازاة نفسه ؟

اوسكار – ربما . . .

هاريس – أصحيح اذاً ما يتّهمك به كنسبيري ؟ اجبني يا اوسكار ، اجبني بصراحة . لم تسبق لي جرأة على ان افاتحك بهذا الموضوع . أصحيح ما يتهمك به كنسبيري ؟ ما يتهمك به كلامُ الناس في لندره ؟ لم يسبق لي قط ان خاطبتك بهذا الموضوع . اما الآن ، في ساعة خطيرة كهذه ، فأراني مضطراً لان افعل . اذا اقيمت الدعوى غداً ، وطُلبت الادلة والبينات ، فماذا يحدث ؟ اجبني !

اوسكار « بعد صمت قصير » – لا ، لا ، لن تتوفر ادلة ولا بينات ، فكن مطمئناً يا هاريس .

هاريس – آه ! انك تعيد الي الثقة . ونتيجة هذه الدعوى ، اذا اقمتها ، تبدو لي اقل ضرراً مما كنت اتوقع . وعلى هذا ابدل رأيي ، فاذا لم يكن ثمة ما تؤاخذ عليه فجابه كنسبيري ، وتحدّ تلك التقاليد الصارمة التي لا تطاق ، ذلك الرياء الحقود ،

ذلك الجمهور الذي اذا مثل دور الطـــائع المتمرد نصف سنة مثّل دور المرائي في النصف الآخر .

اوسكار – اؤكد لك يا هاريس ، انهم لا يستطيعون الاتيان ببينات . ولكن هناك امراً لا ارى داعياً لان اكتمك اياه ، وهو اني احب بوزي . . .

هاريس – أولا يحق لك ان تحب صديقاً ؟

اوسكار – لا احب بوزي كصديق ، يا هاريس ، هـــذه هي الحقيقة . آه ! لقد هالك ما سمعت مني فانت تحول عني عينيك ، وبعد هنيهة ترى ان كنسبيري مصيب فتنحاز الى الجـــانب الآخر ، الى جانب الغوغاء . . . وقد تصرخ معهم ، يا فرنك !

هاريس – مسكين انت يا اوسكار . . .

اوسكار – حالما يحب الانسان يهلك ! لو اني ارتكبت كل ما يتهامس به شعب لندره لما عوقبت ، ولكني هالك لاني احببت . فبهذا الحب سأعاقب ، بهذا الحب سيدخل الشقاء والمأساة في حياتي . لا يعاقب المرء على شيء في حياته مقدار ما يعاقب على حبه !

هاريس – اوسكار . . .

اوسكار – لم يلفظ تلك الكلمات الجميلة ، يا هاريس ، الا المسيح : « مغفورة لها خطاياها لانها احبت كثيراً . . . » اما انكلترا فقالت عكس ذلك : « سيعاقب على خطاياه لانه احب كثيراً . . . » غريبة هي الآلهة فهي تعاقبنا على اردأ ما فعلنا

في احسن مـا عندنا . ساهاجم كنسبيري بسبب دوغلاس ، ولاني احببت دوغلاس سأعاقب !

هاريس – ما دمت تدرك الحقيقة هـذا الادراك فقف على شفير الهاوية !

اوسكار – أتعتقد انني لا افتقدها دائماً بعد ان ارى شفارها ؟ لا ، يا هاريس ، لندع المقدر يعمل عمله والمشيئة السرية التي فينا تعمل عملها . . . يبدو لي الآن اني اكثر حرية بعد ان كنت معك اكثر صراحة .

هاريس – أتحبه الى حد لا تقوى معه على مقاومته ، انت القوي القادر ؟

اوسكار – هكذا كان منذ دخل في حياتي بوجهه الطري الجذاب . بيد انك لا تعرفـه يا فرنك . . . فعنده موهبة ترفعـه الى مصاف اعظم الشعراء . انه يجيء بالنور حين يأتي ، ويأخذ معه الشمس حين يذهب . لقد اسأت اليه في ما قلت لك عنه ، وجميع المحبين يسيئون الكلام في من يحبون ، ولكنك لا تستطيع ان تدرك الى اي حد هو مني ، من فني وحياتي .

هاريس – تعال معي الى « كافه رويال » . فبرنارد شو ينتظر اخبارك هناك . وهو مثلي يعارض فكرة الدعوى .

اوسكار – قضي الامر ، يا هاريس ، وقـال مصيري كلمته . على اني سأنتظر بوزي هنا ، فسيجيء لنذهب معـاً فنتناول العشاء عند ويليز . سنمشي في مثـل ضوء القمر الذي كان

يحبه كيتس ، ولا نفكر في الغد . وما همنا الغد ، يا هاريس !
هاريس – مسكين انت يا اوسكار . . . سنعود الى الكلام ، فالى اللقاء .

(يذهب هاريس . وحالما يختلي اوسكار
بنفسه يتجه الى النافذة ويفتحها) .

المشهد الخامس

اوسكار وايلد « وحده » . ثم خادم صغير .

اوسكار – الضجر في لندره تخفّ وطأته في الليل ، حين تنام الملكة . . . اجل ، يجب ان يقع امر . . .

« يدخل خادم صغير من الجهة اليمنى ويبيده ورقة » .

الغلام – السيد اوسكار وايلد ؟

اوسكار – نعم .

الغلام – قال لي رئيس الخدم اني سأجدك هنا . هذه رسالة لك من اللورد الفرد دوغلاس ، كتبها منذ خمس دقائق في « ألبرمال كلوب » وطلب مني ان اجيء بها اليك في الحال .

اوسكار – رسالة ؟ . . اليوم يوم الرسائل . . . الابن بعد الاب .

« يفض الرسالة ويبدأ بقراءتها » :

اوسكار . . . ان جبنك المضحك . . .

« يصفرّ وجهه ويستأنف القراءة بعينيه وبألم عميق » .

ما اشبه الابن بالاب ! ألم يقل اللورد الفرد دوغلاس شيئاً آخر ؟

الغلام – لا ، بل قال لي لا تنتظر الجواب ، واذا رأيت الرجل السمين مغتاظاً فلا تنتبه له .

اوسكار – لا تنتبه له . . . ألم يقل شيئاً آخر ؟ ألم يقل انه

يأسف لان اكون وحدي في مساء ، في مساء كهذا ؟ . .

الغلام – لا ، ولم يكن حزيناً حين كتب الرسالة ، بل ارسلني الى « جفري » لاجيئه بزهرة « غرديليا » لعروته .

اوسكار – اذن ، هذا كل شيء ! . .

الغلام – اسعدت مساء ، يا سيدي .

« واذ يهم بالذهاب يتبدل شيء في نظر اوسكار » .

اوسكار – اسمع يا بني ، ما اسمك ؟

الغلام – دجس تايلور ، او دجيمي .

اوسكار – تايلور . . . عرفت شاباً يدعى تايلور .

الغلام – في لندره اشخاص كثيرون بهذا الاسم . فهناك صانع قمصان يدعى تايلور ، وبائع ازهار يدعى تايلور ، وخياط يدعى تايلور ، ويظهر انه خياط ممتاز ايضاً . وهناك تايلور ربح جائزة دربي .

اوسكار – ماذا تفعل هذا المساء ، يا دجيمي ؟

الغلام – اكون حراً في الساعة العاشرة . . .

اوسكار – ألا تريد ان تبقى معي قليلاً ، هذا المساء ، يا دجيمي ؟

الغلام – ولكن ، يا مولاي . . .

اوسكار – لا احب ان ابقى وحدي ، هذا المساء ، يا دجيمي . فهناك ساعات كهذه ، ساعات يأتي فيها العذاب من كل جهة ، من اربع جهات الحياة ، ويخاف المرء ان يختلي فيها بنفسه . فسنقوم بنزهة على ضفة التاميز واقص عليك حكايات .

الغلام – حكايات ؟

اوسكار – واعطيك ايضاً بدرة من الذهب مقابل الاصغاء اليها .

الغلام – اذن ، اذن سأصغي الى ما تريد . انا ذاهب لانزع عني سترتي واعود اليك .

اوسكار – تجدني امام مقهى « مايفير » يا دجيمي . فأقص عليك حكاية نرسيس وازهار الساقية . فهي اجملها كلها .

الغلام « باستغراب » – ومن هو نرسيس يا مولاي ؟

اوسكار – هو شاب من الميثولوجيا كان جميلاً كآله . اسمع :

« يبدأ بقص الحكاية بصوت متفطر لا يلبث ان يؤثر في الغلام » .

حين مات نرسيس غمر الحزن ازهار الساقية فطلبت من الساقية قطرات ماء لتستطيع ان تبكيه . فقالت الساقية : لو كانت مياهي دموعاً لما كفت لبكاء نرسيس ، فقد كنت احبه . فغمغمت الازهار : وهل كان باستطاعتك ان لا تحبي نرسيس وهو على ما هو عليه من الجمال ؟ فقالت الساقية : أكان جميلاً الى هذا الحد ؟ فقالت الازهار : ومن ادرى به منك ؟ ففي كل يوم كان ينظر الى نفسه في مياهك .

الغلام – وبعد ذلك ؟

اوسكار – فاجابت الساقية : ان اكن احببته فلأني ، حين كان ينحني عليّ ، كنت ارى جمالي ينعكس في عينيه .

« فيما الغلام يصغي مسحوراً بالحكاية اذا باوسكار ينطلق في النحيب . »

لا ، لا ، ماذا يفيدني هذا كله ؟ ماذا يفيدني نرسيس وانعكاس صورته في الماء وكل هـذه الميثولوجيا الميتة ! لا شيء يحسب لـه حساب في هـــذا المساء الا بوزي . أتفهم يا صغيري المسكين ؟ لا ادري لماذا استبقيتك ، كيلا اكون وحدي ، لكي اخاطب احداً يسمعني ! ولكن مالي وللنـاس ؟ فالذي طلبته فيك هو جماله ، هو شبابـــه ، هو شخصه ، لا شيء آخر ، أتفهم ؟ لا شيء آخر . . . آه ! اراك خائفاً ، كـأني مجنون ! هـــذا حظ جميع الذين يحبون . . . والآن اذهب ، اذهب ولا تعدْ ! واذا شاءت الصدف ان ترى هـــذا المساء الذي كلفك حمل هـذه الرسالة اليّ فقل له انك حين دخلت الى هنا وجدت رجلاً ملؤه الامل بالرغم من كل شيء ، ملؤه الشجاعة بالرغم من كل شيء ، وقل له ان هـذا الرجل قرأ الرسالة وحينئذ لم يبق في هـذه الحجرة من الفندق الا رجل مسكين يبكي ، يبكي . . .

(يسدل الستار فيما اوسكار وايلد ينهار منتحباً) .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

(جلسة المحاكمة . يرتب المنظر على شكل يكون فيه جمهور المسرح كأنه الجمهور الذي يحضر المحاكمة) .

المنظر الاول

نيسان ١٨٩٥ . محكمة الجنايات .

جوستيس كولنس : القاضي . ادوارد كلارك : يمثل جانب الدفاع عن اوسكار وايلد . كرسون : يمثل جانب الدفاع عن كنسبيري . اوسكار وايلد .

ادوارد كلارك « وجه شاحب . طويل الشفة السفلى . عذب الحديث . » — اما التهمة فهي ان المركيز ده كنسبيري عزا الى السيد اوسكار وايلد اموراً خاطئة ومرجفة ، كتبها على بطاقة واودعها النادي الذي يتردد عليه السيد اوسكار وايلد . وهذه التهمة لا يمكن تبريرها الا اذا اثبتت . ومما لا شك فيه انه كان بالامكان ايجاد عذر للاهانة باصدارها عن شعور عميق ، عن قلق ابويّ شديد ، ولكن التهمة التي جاء بها اللورد كنسبيري الى المحكمة تنمّ على امور اشد خطورة .

فهو يقول ان هذه التهمة صحيحة وانها قـــد وجهت لمصلحة المجموع . ثم يبدي جملة تُهم مشفوعة باسماء اشخاص .

« صمت عميق على مقاعد النظارة » .

. . . ويؤكد انه يستطيع ان يثبت ان السيد اوسكار وايلد ارتكب مع هؤلاء الاشخاص اموراً يحرمها القانون . والسيد اوسكار وايلد هو ابن وليم وايلد ، الطبيب في دوبلين . اما الدافع الى التهمة التي وجهها اللورد كنسبيري فهو ولا شك الصداقة التي تجمع بين السيد اوسكار وايلد واللورد الفرد دوغلاس الذي يتهم السيد وايلد بانه افسده . واليكم الواقع : لقد تسلم السيد وايلد من « ورايت » ، بواب البرمال كلوب ، بطاقة دفع بها اليه اللورد كنسبيري ، وفيها التهمة التي يتكفل اللورد كنسبيري باثباتها . ليدخل السيد اوسكار وايلد .

« يظهر اوسكار وايلد في مكان الشهود ،

على وجهه امارات رصينة » .

لا حاجة بي لان اقول لكم من هو اوسكار وايلد . بـــل اشير لكم بسرعة الى عوارض حياتـــه ، الى الفوز الذي ادركه في المدرسة وفي الجامعة ، والى حياته الادبية الباهرة . على ان اهم ما يهمنا الآن هو ان نعلم هل ثمة ادلة على ما يؤكده اللورد كنسبيري فيما يختص بسلوك السيد اوسكار وايلد ؟ هل يتفضل السيد وايلد بالجواب ؟

اوسكار — ليس في اية من هذه التهم اية حقيقة .

« ينهض كرسون » .

كرسون – سنرى ذلك . أيسمح لي السر ادوارد كلارك بان اشير الى امرين ؟

ادوارد كلارك – بكل تأكيد ، يا سيد كرسون .

كرسون – الفت نظر المحكمة الى ان السيد اوسكار وايلد تجاوز الاربعين من عمره وان اللورد الفرد دوغلاس لم يبلغ الرابعة والعشرين بعد ، مما يجيز للمركيز ده كنسبيري ان يخشى على ابنه من تأثير السيد وايلد فيه . ثم احب ان اطرح سؤالا على السيد وايلد .

اوسكار – سل ما تريد يا سيد كرسون ، فانا هنا لأرد على اسئلتك .

كرسون – هل كتب السيد وايلد في نشرة تدعى « الحرباء » ؟

اوسكار – نعم .

كرسون – وهل نشر فيها قصة تدعى « الكاهن وشماسه » ، وفيها وصف لغرام كاهن باحد غلمان الخورس ؟

اوسكار – لا ، ابداً .

كرسون – وهل كانت هذه القصة منافية للآداب ؟

اوسكار – كانت اكثر من ذلك ، ايها السادة ، كانت رديئة الانشاء .

« ضحك على مقاعد النظارة » .

كرسون – يثبت لنا السيد وايلد بجوابه المسرحي انه لا يراعي التبعة الادبية في التأليف .

اوسكار – لم يسبق لي في الواقع ان فكرت في الخير او في

الشر بل في الجمال . فليس في الفكر حسن آداب ولا سوء آداب . وليس لاي صنيع فني رأي ، فالآراء خلقت للفريسيين وليس لرجال الفن .

كرسون – أتساءل ماذا يمكن ان يكون رأي الجمهور في مثل هذا التفكير ؟

اوسكار – لا يهمني من الآراء الا رأيي .

كرسون – ربما كان النظر الى الناس ، وخلق المرء آدابه ، على هذا الوجه طريقة خطرة .

« يتحول الى ادوارد كلارك » .

أتسمح لي ان اطرح سؤالا آخر على السيد اوسكار وايلد ؟

ادوارد كلارك – بكل تأكيد ، يا سيد كرسون .

كرسون – تكلمت في كتابك « صورة دوريان غري » عن عشق رجل لرجل آخر . أفيؤذن لي ، يا سيد وايلد ، ان اسألك هل اتفق لك مرة ان عشقت رجلا آخر ؟

اوسكار – لم يتفق لي ان عشقت الا نفسي .

« ضحك . . . اوسكار يستأنف الكلام » .

سوى ان هذا لا يمنعني ، خلافاً لكثيرين من الناس ، ان افهم الشعور العميق الذي يمكن اديباً او رجلَ فن ان يحسه نحو صديق ينطوي على شخصية رائعة .

كرسون – لقد اوصلتنا في الواقع الى السؤال الذي احب ان اطرحه عليك فيما يختص برسالة كتبت للورد الفرد دوغلاس .

اوسكار – ليس ما تعنيه رسالة ، بل هو قصيدة كتبت رداً على قصيدة وجهها الي اللورد دوغلاس .

كرسون – هل اطلعت المحكمة على هذه الوثيقة ؟

اوسكار – لا ارى ما يوجب اخفاءها عنها اذا كان من ورائها فائدة . ولعلها فرصة حسنة لاسماع المحكمة قطعة فنية .

كرسون – ارجو من حضرة السادة ان يتفضلوا بسماع الرسالة التي بعث بها السيد اوسكار وايلد الى اللورد الفرد دوغلاس :

« يا أعز جميع الاولاد ، ان رسالتك لذيذة عذبة . كانت في الوقت نفسه خمرتي الاشد احمراراً وخمرتي الاشد بياضاً ، ولكني حزين على جميع الوجوه . بوزي ، يجب ان تكف عن تعذيبي ، ففصولك تقتلني ، انها تسحق روعة الحياة نفسها . ولا استطيع ان اراك ، انت الرائع الجميل ، بشوهك الغضب . لا استطيع ان اسمع شفتيك المقوستين تلفظان تلك الاشياء الفظيعة . . . بل اؤثر . . . – ينقص هنا كلمة سنطلبها من الخبير – على ان اراك ممتعضاً ، ظالماً ، بشعاً على هذا الشكل ! يجب ان اراك قريباً . فانت الشيء الالهي الذي اتمناه ، انت الجمال والنبوغ ، ولكني لا اعرف كيف اعمل ، أأجيء الى سليسبوري ؟ فقائمة حسابي هنا هي تسع واربعون ليرة لمدة اسبوع . وعندي ايضاً قاعة جديدة . لماذا لا اراك هنا ، يا عزيزي ، يا ولدي الرائع ؟ لك بمحبة واخلاص : اوسكار . »

اسأل المحكمة ، أليست هذه رسالة خارقة للعادة ؟

اوسكار – كل ما يخطه قلمي خارق للعادة .

كرسون « مخاطباً السيد كلارك » – أتسمح لي ان اطرح سؤالاً آخر على السيد وايلد ؟

ادوارد كلارك – بكل تأكيد .

كرسون – قلت ، يا سيد وايلد ، ان اتهام المركيز ده كنسبيري اياك بان لك شركاء كاذب من اساسه ، أفتصر على قولك هذا ؟

أوسكار – بكل تأكيد ، يا سيد كرسون .

كرسون – أيؤذن لي ان انبهك الى ما في اصرارك هـــذا من عدم الفطنة ؟

اوسكار – ولكني لا استطيع ان اقول لك الا الحقيقة .

كرسون – أيسمح لي اذاً ان اطرح عليك اسئلة اخرى تختص بصداقتك لفتى يدعى تايلور ؟

اوسكار – بكل تأكيد .

كرسون – هل استقبلت تايلور في بيتك ؟

اوسكار – نعم .

كرسون – وهل اجتمعت ايضاً في بيتك بفتى آخر يدعى وود قدمه اليك تايلور هذا ؟

اوسكار – في مناسبة واحدة .

كرسون – وهل اجتمعت في بيتك بسيدني مانور ؟

اوسكار – هذا ممكن .

كرسون – كيف كانت علاقاتك بتايلور ؟

اوسكار – كان تايلور صديقاً لي ، وهو على جانب من الذكاء والتربية . فقد تعلم في مدرسة انكليزية لا تقل براعة عن المدرسة التي ربينا فيها معاً ، يا سيد كرسون ، والتي كنت تغبطني فيها على سمعتي ونجاحي .

كرسون – هل كنت تعلم ان تايلور يراقبه رجال الشرطة ؟

اوسكار – لا ، ولكني لو علمت ذلك لازدادت محبتي له .

كرسون – هل طلبت من تايلور ان يعد لك العدة للعشاء مع فتيان ؟

اوسكار – ولكني تعشيت في المطعم مع تايلور .

كرسون – أيسمح لي ان استغرب صداقتك المستمرة لفتيان بينك وبينهم مثل هذا التفاوت في السن والمقام ؟

اوسكار – اني اؤثر حديث شاب على جميع اللذات الاخرى ، حتى على لذة الاستنطاق في محكمة الجنايات .

« ضحك على مقاعد النظارة » .

ربما هي المرة الاخيرة التي أضحك فيها الجمهور الانكليزي .

« يتحول الى كرسون » .

اما فيما يختص بالتفاوت الاجتماعي . . .

كرسون – فيما يختص بالتفاوت الاجتماعي ؟ . .

اوسكار – فانا ، يا سيد كرسون ، لا اؤمن بالتفاوت الاجتماعي . بل احب الشباب اللامعَ المرح الظاهر على المألوف ، من اي

وسط كان ، الشبابَ الذي يخلع بعض الاشراق على الطرف الاسود من الحياة . والشباب في نظري هو من الروعة بحيث ان التحدث مدة نصف ساعـــة مع شاب يبدو لي افضل من استنطاق اي قاض عجوز . . .

كرسون – هذا بعينه مذهب اللذة الذي يُرى في كل تآليفك .

اوسكار – أتحكمون اذاً علي لاني علّمت انكلترا المسنة كيف تحس الشباب ؟

كرسون – لم نصل بعد الى الحكم ، بـــل نريد ان نعرف الى اي حد بلغ افسادك .

اوسكار – اني افضل المفسدين على الوعّاظ .

كرسون – لنعد الى الاستنطاق ولنترك المفارقات في مكانهـا .

كم يبلغ عدد الفتيان الذين جاءك بهم تايلور ؟

اوسكار – خمسة .

كرسون – هل اعطيت احداً منهم مالاً او هدايا ؟

اوسكار – ذلك ممكن . فانا افضل اعطاء الهدايا على اخذها .

كرسون – وهل اعطوك شيئاً هم بدورهم ؟

اوسكار – لقد بلغت ، لسوء الحظ ، السن التي لا يعطى فيها غير المسبات .

كرسون – هـــل بين الفتية الخمسة الذين جاءك بهم تايلور فتى يدعى باركر ؟

اوسكار – نعم .

كرسون – هل كنت تناديه تشارلي وتسمح له بان يناديك اوسكار ؟
اوسكار – اني اسمح لجميع النـــاس بان ينادوني اوسكار . فحين يبلغ المرء احدى درجـــات الشهرة يصبح في غنى عن اسم عائلته . يقال نابوليون ويقال فيكتوريا .
كرسون – كم كان عمر باركر ؟
اوسكار – انا لا احفظ قائمة باعمار النـــاس . يكفيني غماً اني اذكر عمري .
كرسون – اين اجتمعت ببباركر للمرة الاولى ؟
اوسكار – عند كتنر ، مطعم صوهو الايطالي حيث دعوت تابلور الى الغداء وحيث جاء باركر مع اخيه .
كرسون – هل كنت تعلم ان باركر خادم مطرود وان اخاه من غلمان الفنادق ؟
اوسكار – اني افضل الخدم على كثير من اسيـــادهم . فهم على الغالب اجمل منهم قواماً واحسن ذوقاً ، ويرتدون بزات اسيادهم بظرف اشد تناهياً . اما غلمـــان الفنادق فثيابهم تبدو لي اقل خطراً من جميع الثياب الانكليزية الاخرى .
كرسون – ولكنك ، انت الذي يتخذ الظرف والجمـــال سبباً لوجود الحياة ، لا تستطيع ان تزعم ان لباركر اية قيمة فنية او اية ثقافة .
اوسكار – لكثرة ما نشر الناس الثقافة خلعوا جمالاً متناهياً على « عدم الثقافة » .

كرسون – هل كان لك غرف في سان دجمس بالاس ؟

اوسكار – نعم ، من تشرين الاول ٩٣ الى نيسان ٩٤ .

كرسون – هل ذهب اليك تشارلي باركر وتناول الشاي معك ؟

اوسكار – اذا كنتم تحكمون على جميع الذين يتناولون الشاي في انكلترا فتضطرون الى الحكم على جميع الناس .

كرسون – اكرر سؤالي .

اوسكار – نعم ، جاء تشارلي باركر وتناول الشاي معي .

كرسون – وهل اعطيته مالا ؟

اوسكار – اعطيته ليرتين او ثلاث ليرات لاني شعرت بانه بائس . ثمة فطرة قد لا تكون فيك ، يا سيد كرسون ، تقول لي انه يجب ان نشفق على المساكين .

كرسون – وماذا اعطاك تشارلي مقابل هذا المال ؟

اوسكار – لم يعطني شيئاً .

كرسون – هل اعطيت تشارلي باركر محفظة فضية للسكاير في عيد الميلاد ؟

اوسكار – أليس عيد الميلاد يوم الهدايا في انكلترا ؟

كرسون – هل كتبت فيه قصيدة كتلك القصائد المنثورة التي كتبتها في اللورد الفرد دوغلاس ؟

اوسكار – ثمة نوع من الرسائل لا يكتب الا لشخص واحد .

كرسون – ماذا قلت في نفسك حين علمت بتوقيف تايلور ؟

اوسكار – كنت وما ازال اشفق على الذين يوقفون . فهم على

الغالب اقل ذنباً من الذين يوقفونهم .

كرسون – متى اجتمعت بفريد اتشنس ؟

اوسكار – في ايلول او في تشرين الثاني ٩٢ .

كرسون – كم كان عمره ؟

اوسكار – كان في العمر الذي يتمناه جميع الناس . كان في العشرين .

كرسون – هل اجتمعت به مرة اخرى ؟

اوسكار – معاوم .

كرسون – هل كنت تناديه فريد وبناديك اوسكار ؟

اوسكار – البرنس ده غال نفسه بنادبني اوسكار .

كرسون – هل كنت معه في باريس ؟

اوسكار – نعم .

كرسون – وهل اعطيته دراهم ؟

اوسكار – اراك لا تفكر الا في الدراهم يا سيد كرسون . أتراك تريد ان يكون هو اعطاني ؟

كرسون – هل حصل بينكما ما يحرمه القانون ؟

اوسكار – لا ، لا ، قلت لك ذلك مئة مرة .

كرسون – متى اجتمعت بارنست سكرف للمرة الاولى ؟

اوسكار – في كانون الاول ٩٥ .

كرسون – من جاء به اليك ؟

اوسكار – تايلور .

كرسون – هل اعطيته محفظة فضية للسكاير ؟

اوسكار – من مألوف عادتي ان اقدم محفظات فضية لمن يروقني . وكن على ثقة باني لن اقدم لك محفظة يا سيد كرسون .

كرسون – متى اجتمعت بمافور للمرة الاولى ؟

اوسكار – في ٩٣ .

كرسون – هل اعطيته دراهم أم محفظة للسكاير ؟

اوسكار – محفظة للسكاير مدرهمة .

كرسون – متى اجتمعت بوالتر غرنجر للمرة الاولى ؟

اوسكار – كل هذه الاسماء التي تلفظهـــا ، يا سيد كرسون ، بهذا الشكل من الاستمرار الحقود ، ألا ترى انها تملأ محكمة العدل بجمع غريب من الاشباح ؟ لقد قلت لك ان هذا كله لا فائدة منه وانك لن تجد شيئاً ولن تثبت شيئاً . ولا اخالك تستطيع اثبات ما يدعيه المركيز ده كنسبيري لاني حلا لي ان اوزع محفظات للسكاير فضية على احداث ليس لديهم مثلها ولاني فضلت محادثة الفتيان على محادثة من هم في سنك .

كرسون – ليس لمفارقاتك هذه قيمة هنا ، امام الحقيقة والعدل . فزمن المجالس التي كنت تملكها بسخرياتك وحذلقاتك قد مضى يا سيد وايلد . . . رد على سؤالي : هل اجتمعت بوالتر غرنجر عند اللورد الفـرد دوغلاس حين كان مستخدمـاً لديـــه في اكسفورد ؟

اوسكار – اعتقد انـه من حق اللورد الفرد دوغلاس ان يختار خدمه كما يحلو له .

كرسون – هل اتفق لك ان عانقت والتر غرنجر ؟

اوسكار – ابداً . فقد كان غلاماً تافهاً وعلى جانب كبير من البشاعة لسوء الحظ . وكثيراً ما كنت اشفق عليه بسبب ذلك .

كرسون – أهذا السبب وحده لم تعانقه ؟

اوسكار – هذا السؤال يبدو لي على جانب كبير من الوقاحة .

كرسون – لماذا لمّحت في جوابك الى ان الغلام على جانب كبير من البشاعة ؟

اوسكار – اذا سئلت لماذا لم اعانق خفاشاً أجيب لاني لا احب ان اعانق الخفافيش .

كرسون – لماذا لمّحت الى بشاعته ؟ أجبني يا سيد وايلد . أتعني بذلك انه لو كان جميلاً لعانقته ؟

اوسكار – لا يمكن ان اعانقه على اي حال .

كرسون – لماذا لمحت الى بشاعته ؟

اوسكار – لانك اهنتني بسؤال مبين .

كرسون – أفي هذا ما يدعو الى القول بان الغلام بشع ؟ لماذا قلت ذلك ؟

اوسكار – لاني اكره البشاعة ، يا سيد كرسون ، انّى كانت وحيثما انحطت ، أعلى وجه أم في قصيدة ، أعلى لوحة ام في نظر . لان صنيعي بكامله هو صنيع جمال ، هو تعقّب الجمال ، هو وضع الجمال في موضعه الحق . لاني اكره البشاعة ، يا سيد كرسون ، على مستخدم مقدار ما اكرهها على ابتسامة

مستنطق ذات نظارات . ولاني لو جئتني انت كذلك لما عانقتك يا سيد كرسون .

ادوارد كلارك – هل انتهيت من اسئلتك ، يا سيد كرسون ؟

كرسون – نعم ، موقتاً . سوى اني انبّه السيد وايلد الى عدم الفطنة في تمسكه بهذه الطريقة في الدفاع لاننا سنجيء بادلة وشهود .

ادوارد كلارك – أيؤذن لي ان الفت نظر المحكمة الى ما بين اللورد الفرد دوغلاس ووالده من شدة الحقد . فمثل هذا الحقد لا يمكن ان يتخذ بمثابة عاطفة بالغة تدفع عادة الوالد الى الدفاع عن ابنه . فالمركيز ده كنسبيري كان وما برح يهمل امر ولده ، ولم يخطر له يوماً ان يقابله بسوى الاساءة ولا يزال ماضياً في خطته . . . وتحت تصرف المحكمة رسائل ملؤها الحقد تبودلت بين المركيز ده كنسبيري وابنه وستسترشد بها المحكمة . وارغب من جهة اخرى ان انبه المحكمة الى ان بين الفتيان الذين اهتم لهم السيد كرسون اثنين لم يأت عمداً على ذكرهما ، وهما المدعو شيلي والمدعو كونواي . فشيلي كان مستخدماً في دار ماتيوز للطباعة والنشر ، وهو شاب على قسط وافر جداً من الادب والثقافة .

كرسون – لا يستغرب من السيد وايلد ان يشذّ عن قاعدته من وقت لآخر فيعاشر الادباء والمثقفين . سوى اني ألفت نظر المحكمة الى ان جميع الذين كان السيد وايلد يعاشرهم هم من

الخدم المطرودين او من غلمـــان المقاهي وانهم جميعاً في سن واحدة على وجه التقريب . والفت نظر القاضي أيضاً الى ان تايلور ، وهو محور القضية بكاملها ، لم يؤتَ بـه الي قفص المتهمين . فلماذا ؟ بيد اننا سندعوهم جميعاً . سنجيء بهم الى هنـا . ومهما يكن من الامر فقد ثبت ، على ما يبدو لي ، ثبوتاً كافياً من عشراء السيد وايلد وسوء آداب شركائـه ان المركيز ده كنسبيري كان مصيباً باستنكاره علاقـــات السيد اوسكار وايلد بابنه . واي امريء يستطيع في بلد كانكلترا ان يأخذ على والد مثل هذا الاستنكار ، وان يكن لم يبدر من هذا الوالد حتى هذا الحين اية بادرة تدل على اهتمامه بابنه ؟

« سكوت » .

بقي لي ان اقوم بمهمـة أشد تأليماً وأشد قساوة وهي ان احضر الى هنا واحداً واحداً اولئك الفتيان الذين استنطقتْ السيد وايلد في امرهم ، وان اطلب من كل منهم ان يقص علينا قصته .

اوسكار « ينهض فجأة شاحب الوجه » – مـــاذا تقول ؟ لن تستطيع ذلك ! فلن يقصّوا عليك سوى اراجيف وترّهات !

كرسون – بل يتضح للمحكمة كم كانت اكاذيبك حمقاء وكم كان احمق السبب الذي حملك على رفع دعواك على المركيز ده كنسبيري وعليك مثل هـــذه التبعات الفاضحة . اجل ، سترون اولئك الشهود . لقد قال لكم السيد وايلد انهم على

جانب كبير من الجمال والظرف والفتوّة والذكاء، وانه ما عاشرهم الا لانهم يجمّلون الحياة . سترون اولئك الاشقياء القذرين الذين لفظتهم احط دركات لندره ! سترون وود وباركر وسكارف وكونواي وتايلور ، سترونهم ، سترونهم ! يستطيع المرء ان يمزق وثائق ولكنه لا يستطيع ان يمزق خلائق !

ادوارد كلارك « ينهض شاحباً » — اطلب وقف الجلسة .

« يتحول الى القاضي » .

ايؤذن لي ان اتحدث هنيهة مع السيد كرسون وموكلي ؟

جوستيس كولنس — بكل تأكيد ، يا سيد كلارك .

« ادوارد كلارك يتحدث مع السيد كرسون واوسكار وايلد » .

اصوات من الجماهير — ما رأيك ؟ — كان الانفعال شديداً على وجه السر ادوارد كلارك . — ذلك ان كرسون حين ذكر الشهود لم يكن السر ادوارد كلارك يتوقع ذلك . — لم يفطن الى ان هناك شهوداً . — هل لاحظت وجه اوسكار وايلد كيف امتقع ؟

جوستيس كولنس — اطلب من الحضور السكوت او اضطر الى إخلاء القاعة . . .

« ادوارد كلارك يعود الى مكانه ويعود كرسون ايضاً ، ويظهر اوسكار وايلد من جديد في منصة الشهود » .

ادوارد كلارك — حضرة القاضي ، بعد ان استرأيت السيد كرسون وموكلي اعتقد انه من الافضل استرجاع الشكوى

والدفاع عن موكلي باعتباره غير مجرم نحو المركيز ده كنسبيري .

« ضجة في القاعة » .

لا سيما وان المركيز ده كنسبيري لم يوجه الى موكلي تهمة مباشرة . ومن جهة اخرى . . .

« بصوت مضطرب » . . .

أحب ان اوفر عن المحكمة مشقة النظر في شؤون هي على جانب كبير من الازعاج ، راجياً بذلك وضع حد نهائي للقضية !

« ضجيج ودهشة في الحضور » .

كرسون — اسجل عليك كلامك يا سيد كلارك ، وانا من رأيك على طول الخط . ولا شك في ان موكلك ، قبل ان يحملك على قبول الدفاع عنه اكد لك براءته فصدقته عن حسن طوية . وحالما ادركت خطورة الامر الذي زج اوسكار وايلد نفسه فيه رأيت ان العدول عن الشكوى احرى به وافيد له . ولكن من واجبي ان انبهك الى ان الدفاع عنه كغير مجرم يعني ان المركيز ده كنسبيري كان مصيباً .

جوستيس كولنس — ليس لهيئة المحلفين اية رغبة في ان تقف طويلاً عند تفاصيل كالتي اظهرها الاستنطاق . فلنقف اذاً ، ايها السادة ، عند الطلب الرشيد الذي ابداه السر ادوارد كلارك مع العلم بان الدفاع عن غير مجرم معناه ان المركيز ده كنسبيري كان مصيباً وان التهمة الموجهة قد وقعت للمحافظة

على الخير العام .

« تصفيق . . . ضجيج . . . هاريس يدنو من اوسكار وقد ظهرت على هذا الاخير اشد عوامل الانفعال » .

هاريس – ما بك لا تجيب ؟ . . ألم اكن مصيباً يا اوسكار ؟ فادوارد كلارك نفسه يتخلى عنك . لقد انتصر كنسبيري ، فيجب عليك ان تتناول مالا من البنك وتهرب الى فرنسا .

اوسكار « كمن يتكلم في كابوس » – هاريس . . . هاريس . . .

هاريس – ان الامور التي ظهرت في الجلسة تجيز الان توقيفك والحكم عليك بجزاء صارم . . . اتسمع ؟ اوسكار . . . اوسكار . . . اتسمع ما اقوله لك ؟ لم يفت الوقت بعد ، فاهرب .

اوسكار – اين بوزي ؟

هاريس – ما لك ولبوزي الان ، فهو الذي اوصلك الى هنا ! لم يبق لك من الحرية الا ساعات قلائل ، فاهرب .

اوسكار – كنت احب ان اكلم بوزي .

هاريس – قلت لك ان خلاصك الوحيد في الهرب . سمعت مخبر « ستار » يقول انك ستوقف هذا المساء . . . عجل ! اهرب ! ما بك . . .

اوسكار – سابقى ! سابقى يا هاريس ، مهما يقع ، وسأقبل الحكم علي مهما يكن !

المنظر الثاني

في المحكمة . نيسان ١٨٩٥ . بعد مرور ايام . الجلسات تتوالى . يرتفع الستار فيما ادوارد كلارك يتكلم .

ادوارد كلارك . محامون . اوسكار وايلد .

ادوارد كلارك — ... ولنستعد الوقائع بعجلة . فبعد التسليم بان المركيز ده كنسبيري ليس مجرماً ، صدرت بحق موكلي مذكرة توقيف بتاريخ الخامس من نيسان بحجة ان ما عُرض من الامور يقع تحت طائلة قانون يتناول السدومية ، سنّ من تسع سنوات . وقد طلب الادعاء العام ، بموجب شكوى قدمها السيد كرسون ، ان يسمع كشهود اتهام جميع شركاء وايلد الذين خيروا بين ان يشهدوا عليه ويلاحَقوا ، فشهدوا كلهم عليه الا واحداً هو الفرد تايلور . ومهما يكن بالامكان ان يقال عن آداب هذا الرجل فلا يستطاع اتهامه بالاحتيال وله في الشرف مفهومه الخاص . ولذلك نرى تايلور يلاحَق الان الى جانب السيد اوسكار وايلد . بقي ان نعلم هل قال هؤلاء الشهود الحقيقة تحت ضغط الادعاء العام ؟ لا استطيع معارضة الادعاء العام الذي يطلب سماع هؤلاء الشهود ، ولكني ابدي مسبقاً جميع التحفظات الممكنة في اقوال تصدر

عن اشخاص فاسدين وعن محترفين يجب التثبت من صحة ما يقولون . . . على انه يهمني ، قبل سماع المحكمة هؤلاء الشهود ، ان اذكرها من هو السيد اوسكار وايلد . فامس كان ذائع الصيت مكرماً في انكلترا كلها . وقد كفت حركة من القدر ليتبدل كل هذا . فكتبه منعت من البيع ، وامتنع الناس من حضور مسرحياته التي كانت لاسبوع خلا تجذب اليها لندره كلها ، واصبح لسان حاله ما قاله شيلوخ في « تاجر البندقية »: لقد اخذوا حياتي باخذهم مني الوسائل التي اعيش بها . . . اجل ، اريد للمرة الاخيرة ان اتوسل الى المحكمة بان تذكر من هو السيد اوسكار وايلد . فلما جاءني ليطلب مني الدفاع عنه اقسم لي انه بريء فنصحت له عندئذ بان يرفع على المركيز ده كنسبيري دعوى اهانة وافتراء . وفي احدى الجلسات السابقة ، بداعي الطابع الخاص الذي اتسم به بعض الرسائل وبداعي اتهام المركيز ده كنسبيري اياه بتكلفه هذه النقيصة لا بهذه النقيصة نفسها ، رأيت من الاصح طلب الدفاع عنه كغير مجرم . وبما ان هذا ادّى الى توقيف موكلي فيهمني ان انبه المحكمة الى انه من الواجب عليها ، حتى ولو كان السيد اوسكار وايلد ارتكب بعضاً من الاخطاء التي يتهم بها ، ان تذكر اي كاتب خطير هو وان تسلك في محاكمته سبيل العدل . وانّى لهذه المحاكمة ان تكون عادلة ما دامت الصحف تنهشه منذ اسابيع وتفرض رأيها على المحكمة ؟ ويجب على المحكمة ايضاً ان

تذكر انه ليس في شهود الاتهام الذين سيتعاقبون الآن اي شاهد افسده السيد وايلد ، فكلهم من المحترفين الذين يتاجرون بنقيصتهم ولا يصح ان يقاس كلامهم بكلام شاعر اعطى انكلترا روائع . . .

« ضجيج » .

هذا الى اني ، وفقاً للقانون ، اطلب من المحكمة قبل سماع الشهود ان تعتبر المتهم كشاهد اتهام في صلب قضيته .

الادعاء العام — هـذا حق لك يا سيد كلارك . فليتفضل المتهم بالمجيء الى مكان الشهود وليؤد القسم حسب المـألوف .

اوسكار « يترك مكانه الى مكان الشهود ويؤدي القسم » — اؤكد مرة اخرى ان كل هـذا ليس سوى كذب وتواطؤ وافتراء . فانا لم ارتكب الاعمال التي اتهمت بها ، واقسم اني بريء .

كرسون « بلهجته الانتقامية » — هل يتفضل السيد وايلد فيذكر لنا ايضاحات جديدة عن قصيدتين نشرتا في « الحرباء » ؟

اوسكار — يظهر يا سيد كرسون ، ان لك عطفاً خاصاً على هذا الحيوان ، افتراك تعتقد انك تشبهه ؟

كرسون — ارجو منك ان تشرح لي بـدون ان تقاطعني معنى هاتين القصيدتين اللتين تدعى احداهما « مديح العار » والاخرى « الخبثان » .

ادوارد كلارك — — انا الذي يقاطعك يا سيد كرسون ، فهذه

القصيدة ليست للسيد وايلد ، بل للورد الفرد دوغلاس .

كرسون – اذن تكرم يا سيد وايلد واشرح لي ما تقصده بالحب الذي تصفه في القصيدة الثانية ، وهذه ابياتها الاخيرة .

« يردد كرسون بصوته الاخن الابيات التي قالها دوغلاس في الفصل الاول نزولا على طلب وايلد » :

حلمت اني على الهضبة الشاحبة ، في مكان من الغرابة والجمال بحيث اذا هبط المساء يتمنى المرء ان يكون له نعيماً او يكون له قبراً !

وبصرت فجأة في حديقة حلمي بشابين على جانب كبير من الجمال والتشابه ، احدهما اشد غبطة ومرحاً من ربيع في آخره ، والآخر لا يحمل في مقلتيه الا دموعاً .

فلما رأيته يبكي قلت له : « ايها الفتى ، لماذا جئت حزيناً الى هذا المكان السعيد ؟ قل لي ما اسمك ؟ » فاجابني بهدوء : « انا ادعى الحب ! »

فاستشاط الآخر غيظاً وتحول الي صارخاً : « انه يكذب ! انه كذاب ! فاسمه العار لا الحب . . . اما الحب فانا وحدي ، انا وحدي حب جميع العشاق الصادقين .

انا وحدي الحب الذي يفرح القلوب ويقرب بين الفتاة والفتى . » فقال الآخر في تنهدة : « لتكن مشيئتك ، فانا الحب الذي لا يجرؤ على ذكر اسمه ! »

« يقول كرسون هذه الابيات بحقد ممزوج بخبث
وسخرية ، فيقاطعه اوسكار الذي يحفظها عن ظهر
قلب قائلاً الختام » .

اوسكار « بصوت جازم » —

فقال الآخر في تنهدة : « لتكن مشيئتك ،
فانا الحب الذي لا يجرؤ على ذكر اسمه » .

كرسون — اذن تفضل ، يا سيد وايلد ، وقل لنا ما هو هذا الحب .

اوسكار — دقيقةً ، يا سيد كرسون . . . فيما انت تقول هذه الابيات التي لم تتمكن من تشويه ايقاعها الجميل خيل اليّ على حين فجأة اني اسمع الصوت الآخر ، ذلك الصوت الذي كان ينشدها لي فيما مضى ، فوقعتُ في بحران عميق . . . أجل ، سمعت صوتاً آخر ، صوتَ الشاعر الذي كتبها . وكلما امعنتَ في تجفيف هذه الابيات كانت ذكرى ذلك الصوت تعيد اليها موسيقاها الخاصة وتعاقبك ! ولكن هذا إلهاء عابر وسأجيبك . ان الحب الموصوف في قصيدة الـلورد دوغلاس ، يا سيد كرسون ، هو الحب الذي لا يجرؤ على ذكر اسمه في هـذا العصر . هو الحنان العظيم يشعر به رجلٌ نحو فتى . هو الحنان الذي عرف في التوراة بين داود ويوناثان . هو الذي جعله افلاطون اساساً لفلسفته . هو الذي تشف عنه قصائد ميكل آنج وقصائد شكسبير . هو عاطفة روحية عميقة ، نقية مقدار ما هي كاملة ، تملي من صنيع الفن ما هو عظيم كشكسبير

وكميكل آنج وكهاتين الرسالتين مني ! عاطفة جميلة ملهمة بلغ من جهل الناس لهـا ان شعوري بها وضعني حيث انا الآن ! على اني ، من هذا المكان نفسه ، اردد لكم ان هذه العاطفة جميلة ، ناعمة ، وانها من اشرف انواع الحب . واردد لكم انها مثقفة وانها تقوم في الغالب بين رجل وفتى ، حين يمثـل الرجل العبقرية ويمثل الفتى كل الغبطة والمرح ، كل الامل ، وكل ما في الحياة من النور . لذلك لا يفهم العالم هذه العاطفة فيقدّرها بسخريته وهزئه ويطرحك اخيراً في يد العذاب !

« تصفيق في القاعة » .

الادعاء العام — سأضطر الى اخلاء القاعة !

كرسون — أهذه ، يا سيد وايلد ، هي العاطفة التي تشعر بها نحو باركر وسكرف وولتر غرنجر ؟

اوسكار — هذه العاطفة ، يا سيد كرسون ، لا يشعر بها المرء الا مرة واحدة في حياته ونحو مخلوق واحد .

كرسون — أيوسعك ان تقول لنا نحو من شعرت بها ؟

اوسكار — ثمة اسماء لا تلفظ في محكمة الجنايات ، يا سيد كرسون . فالحب الذي لا يجرؤ على ذكر اسمه لا يجرؤ كذلك على ذكر اسم من يحب .

كرسون — أيوسعني ان اسألك هل عنيتَ به اللورد الفرد دوغلاس ؟

« اوسكار لا يجيب » .

هل سمعتني ، يا سيد وايلد ؟ سألتك هل عنيتَ بـه اللورد الفرد دوغلاس ؟

اوسكار – سمعتك يا سيد كرسون ، ولذلك لم ارد على سؤالك . فانا ارغب ان يقتصد ما امكن في ذكر اسم اللورد دوغلاس في هذه الدعوى .

ادوارد كلارك – اتوسل اليك ان تفكر في ما تقول ، يا سيد وايلد . فاذا كان اللورد دوغلاس ارتكب بعض الذنوب التي تعزى اليك فمن الضرورة الملحة ان لا تبقى صامتاً .

اوسكار – هذا يعني خيانة صديق لنا ، يا سيد كلارك .

ادوارد كلارك – بل هذا يعني اظهار الحقيقة ، يا سيد وايلد .

اوسكار – ليس في العالم إلا حقيقة واحدة ، يا سيد كلارك ، هي ان لا نخون من نحب . بيد انه لا ينبغي لـكم ان تتصوروا شيئاً غير الذي قلته ، ولا تفترضوا انه بامكاني ان اقول شيئاً من شأنه الايقاع باللورد الفرد دوغلاس . فليس للورد الفرد دوغلاس اي شأن في هذه القضية .

« لهجة وايلد جازمة لا تقبل الرد » .

كرسون – اذن لم يبق لنا الا ان نستمع الى الشهود .

اوسكار – لا يستطيع الشهود ان يقولوا ما لم اقله ، يا سيد كرسون .

كرسون – ليدخل باركر .

ادوارد كلارك – فكر قليلا يا سيد كرسون . فبعـد طلب

« منع المحاكمة » كان السيد وايلد مطلق السبيل في لندره . ولكان باستطاعته ان يهرب لو كان مذنباً .

كرسون – سنستمع الى الشهود .

« يترك اوسكار مقاعد الشهود . ويدخل بار كر » .

الادعاء العام – احلف اليمين .

« حين تلتقي عينا بار كر عيني وايلد يخفض بار كر نظره » .

كرسون « بعد ان يحلف بار كر اليمين » – ما اسمك ؟

بار كر – تشارلي بار كر .

كرسون – كم عمرك ؟

بار كر – ثماني عشرة سنة .

كرسون – هل عرفت السيد وايلد ؟

بار كر – نعم .

كرسون – عن طريق من عرفته ؟

بار كر – عن طريق تايلور .

كرسون – ماذا حصل بينك وبين السيد وايلد ؟ اكرر انه يجب عليك ان تقول كل الحقيقة .

بار كر « ينظر الى وايلد قبل ان يتكلم ، فيضطرب قليلاً ثم يملك نفسه » – استقبلني السيد وايلد في السافوى وكان له فيه جملة غرف . وبعد ان سقاني هو وتايلور وعدني السيد وايلد بمبلغ من المال ان انا بقيت . وكان مع السيد وايلد شخص آخر . . .

كرسون – أكان رجلاً ام امرأة ؟

باركر – كان رجلاً .

كرسون – طبعاً . أيوسعك ان تذكر لي رسم هذا الرجل ؟

باركر – لا اذكره . كان شاباً شاحب اللون ، اشقر ، يتكلم بعنف شديد .

كرسون – هل يتكرم السيد وايلد فيذكر لنا رسم الشخص الذي حضر ذلك الاجتماع الغريب ؟

اوسكار – لا تطلب مني جواباً يا سيد كرسون ، فبكل قواي انكر شهادة هذا البائس .

كرسون « الى كاتب » – دوّن انكار السيد وايلد . وانت يا باركر اكمل شهادتك .

باركر – كنا في ساعة متأخرة من الليل ، وكان المكان الذي اقطنه في الطرف الآخر من لندره بعيداً عن السافوى . اما الغرفة فاذكرها تماماً ، فقد كانت صغيرة ، خضراء وردية . . . وكان على المدخنة طاقة من الزهر . فطلب مني السيد وايلد ان اخلع ثيابي . . .

« يهبط الستار على مهل ، وكأن الشهود الاخرين يتعاقبون وراءه . واذ يرتفع يرى احد الشهود يؤدي خاتمة شهادته بلهجة عنيفة مرهقة كاللهجة التي التزمها باركر في الوشاية بوايلد » .

المشهد الثالث

الفرد وود « في مكان الشهود » — . . . وانصرفت باكراً ، عند الفجر ، بعد ان نقدني السيد وايلد قطعة من الذهب عليها صورة الملكة .

كرسون — لا تحشر الملكة في هذه القصص .

الفرد وود — انا لا احشر فيها احداً ، بل اسرد لكم التفاصيل المطلوبة . واني آسف لكوني ارتكبت الامور التي ارتكبتها ، ولكني لم اكن اقدر خطورتها . ففي تلك الليلة شربت شمبانيا للمرة الاولى في حياتي . واؤكد لكم اني لم اقل الا الحقيقة .

اوسكار « ينهض » — اؤكد لكم انهم كذبوا جميعاً ، باركر ، وود ، اتشنس . . . أمجانين انتم ؟ ماذا فعلت بكم ؟ لماذا تريدون ان تسيئوا اليّ ؟ انكم تعرفون ان كل ما قلتم غير صحيح . . .

الادعاء العام — لم يبق للمتهم حق في الكلام . بقي ان اطرح على المحكمة الاسئلة التالية :

اولاً — أتعتقدون ان وايلد ارتكب اموراً مخالفة للحشمة مع ادوارد شلي والفرد وود ، وفي سافوى اوتيل مع شخص او اشخاص مجهولين او مع تشارلي باركر ايضاً ؟

ثانياً – هل حرّض تايلور او حاول التحريض على ارتكاب امر او جملة من هذه الامور ؟

ثالثاً – هل حاول وايلد وتايلور او احد منهما تحريض اتشنس على ارتكاب امور مخالفة للحشمة ؟

رابعاً – هل ارتكب تايلور اموراً مخالفة للحشمة مع تشارلي باركر او مع وليم باركر ؟

المحكم الاول – أتسمح لي ، يا حضرة القاضي ، ان اسألك ، في صدد ما يقوم من الصداقة بين اللورد الفرد دوغلاس واوسكار وايلد ، هل أُرسلت مذكرة جلب بحق اللورد الفرد دوغلاس الذي كثيراً ما يذكر اسمه ولا يُرى وجهه ؟

الادعاء العام – لا اظن . لم نسمع بذلك .

المحكم الاول – ولكن اذا وجب علينا ان نفحص الرسائل على انها ادلة جرم وان نحكم بالجرم بموجب هذه الرسائل فهذا يطبق على اللورد الفرد دوغلاس مقدار ما يطبق على المتهم .

الادعاء العام – هذا عين الحق ، ولكن ينبغي لنا في الاول ان نتثبت من جرم الرجل الجالس على هذا المقعد . فسننتقل الآن الى المذاكرة .

« يخرج المحكمون ، ويبقى المتهم في مكانه .
وتنطفىء الانوار » .

اوسكار – انهم يتذاكرون . . . لقد اصاب هاريس ، فقد كان اولى بي ان لا ارفع هذه الدعوى . لماذا فعلت ذلك ؟ . .

المحكمون يتذاكرون . . . آه ! أليس بين هؤلاء الرجال رجل لا يراني مذنباً مقدار مـــا يزعمون ؟ في المرة الاخيرة اشفق عليّ احدهم ، وربما تذكر احد مؤلفـاتي فجعله في الميزان . لكم احب ان اعرف وجه هذا الرجل لأرى الرحمة الانسانية عليـــه . وما دمت في المرة الاولى أوتيت هذا الحظ فلمَ لا أوتي مثله هذه المرة ايضاً ؟ ان رجلاً واحداً يكفي لانقاذي . ولا شك في ان انكلترا ستلفظني ، ولكني سأتمكن من الهرب مع بوزي . . .

بوزي ! ايتها الشعور الذهبية الناعمة ، ايها الوجه الذي يشحب بسهولة ، ايتها اليدان العصبيتان اللتان تشحبان ايضاً . بوزي ، ايها الملاك الهائل !

بوزي ! ان شر السجون هو ان لا اراك ! فحيثما تكون تكون الحريـة وتكون السماء . . . انهم يتذاكرون . . . يتناقشون في الادلة والظنون . ان حياتي بين ايديهم . كلٌ يتوقف الآن على قبضة من الرجال يستنكرون الجمـال . . . خائف ! . . هي المرة الاولى التي اشعر فيها بخوف . . . انهم يعدون !

« يعود النور ، ويظهر المحكمون » .

الرئيس — لقد صدق الاستئناف حكم البداية .

« ضجيج . . . اوسكار يشحب وجهه » .

يا اوسكار وايلد ويا الفرد تايلور ، ان الجرم الذي ارتكبتماه

من الفظاعة بحيث يجب على المرء ان يقوم بجهد عظيم لكيلا يصف بكلام لا اريد ان استعمله العاطفةَ التي تولد في كل امرىء شريف حين يقرأ تفاصيل هذه الدعوى المقيتة .

ولا يخالجني اي شك في ان المحكمة توصلت الى حكم عادل في هذه القضية ، وأمل من الذين يتصورون ان القضاة ظالمون ان يؤمنوا هذه المرة بانهم قرنوا العدالة باقصى ما يمكن من التساهل .

ان اناساً ارتكبوا مثل هذه الامور يجب عليهم ان يموتوا من الخجل . هذه القضية هي ابشع ما واجهت في حياتي . . . مستحيل ان يكون ثمة اي شك في انك كنت ، يا وايلد ، مركز بؤرة للافساد بين الفتيان . لذلك يجب عليّ انزال اشد حكم يجيزه القانون . وهو في رأيي دون جرم كجرمك .

لقد حكمت المحكمة على كل منكما بالسجن مدة سنتين مع الاشغال الشاقة .

« ضجيج » .

اوسكار « على وشك ان يغمى عليه » — أوسعني ان اقول كلمة يا مولاي ؟

الرئيس — لم يبق مجال للكلام .

« يدنو رجلان من وايلد ويوقفانه » .

فلست بعد اليوم ..وى سجين .

« يسمع في الخارج ضجيج وهتاف فرح ، وصخب في القاعة .

« وايلد يبكي . هاريس يشق الجماهير ويتجه نحو اوسكار » .

هاريس — اوسكار !

اوسكار — ربما كان السجن خيراً لي . لا ، لا تقل لي شيئاً يا هاريس ، ولا كلمة . كان هذا مكتوباً لي .

هاريس — صديقي ، صديقي . . . هتافات الفرح في الخارج . . . اولئك الفاجرون من الجنسين يرقصون من الفرح بيننا الشرطة والحاضرون يحمرّون من الصراخ . أوود وباركر واضرابهم احرار ، وجميع المخلوقات المفسدة التي عوقبت على إفسادها !

اوسكار — ذلك انها لا تستحق العقاب . . . فالله لا يعاقب الا المستحقين .

« الى الحراس » .

هاأنذا . ولكن اسمحوا لي ان اقول كلمة للسيد هاريس .

« يتحول الى هاريس » .

فرانك ، أتريد ان اكلفك بمهمة ؟

هاريس — بكل ما تريد !

اوسكار — فرانك ، يجب ان تجتمع ببوزي بأسرع ما يمكنك . . . لا اجهـــل انك لا تحبه . قل له اني هادىء مطمئن ، واني اقبل كل شيء . . . ولكن لا تنس ان تقول له — عفواً اذا كلفتك بهذه المهمة — اني ما احببت سواه . . . وان كل هذا ، الحمأة المتحركة ، تلك الاشباح المنتصبة ، ذلك الماضي الذي تصاعد من اسفل نفسي ، كل هذا لا يحسب شيئاً . قـل له

اني ما احببت سواه واني لن افكر في السجن الا فيه !

يهبط الستار

الفصل الثالث

الفصل الثالث

حجرة اوسكار وايلد في سجن ريدنغ . حين يرتفع الستار يظهر اوسكار وحده ، وقد تبدل كثيراً وتزرع شعره بالشيب . يدخل حارس من حين الى آخر .

المشهد الاول

اوسكار . الحارس .

اوسكار – اذن ؟ . .

الحارس – في هذا المساء .

اوسكار – مسكين !

الحارس – هل رأيته ؟

اوسكار – نعم ، من خلال الحاجز ، في مضرب الحوش . . . هو دون الثلاثين ويريدون ان يقتلوه .

الحارس – لانه قتل زوجته .

اوسكار – فارس من الحرس الازرق قتل المرأة التي يحب ! ايها الحارس ، الا يقتل كل منا الشيء الذي يحبه ؟

« ويقول بصوت منخفض » .

الجبان يقتل بقبلة ، والشجاع بسيف !

الحارس – ستسمع جرس الحزن مدة ربع ساعة ، حين يؤخذ السجين الى المضرب ليشنق هناك .

اوسكار – وجسده ، ماذا يصنع بجسده !

الحارس – يحاط بالكلس المحمّى ويدفن في حوش السجن .

اوسكار « على حدة » – كيف توجد السجون ؟ . . . ايها الحارس ، هل علمت شيئاً جديداً بشأن طلبي ؟

الحارس – اي طلب ؟

اوسكار – بشأن الورق الابيض الذي طلبته لاكتب عليه . . . آه ، لقد تبين لك اني اتحمل كل شيء بصبر واستسلام ، ولكني بحاجة قصوى الى هذا الورق الابيض . فمنذ اشهر لم اكتب شيئاً ، وربما كان هذا اشد قصاص عرفته في حياتي . لقد تألمت كثيراً في سجن واندسورث وفي هذا ، ولكن ليس من شيء اشد ألماً على نفسي من ان لا استطيع كتابة ما يجول هنا ، في رأسي . انا لا اطلب الا شيئاً واحداً ، الا ورقاً ابيض بدون منضدة . لا ، لا اطلب منضدة فهي اكثر مما استحق ، بل خشبتين اضع عليهما ، حين اكتب ، اللوحة التي انام عليها . . .

الحارس – مسكين !

اوسكار – شكراً لك على هذه الكلمة ، فقلوب انكلترا ليست كلها متحجرة . ولا تزال الرأفة كامنة في بعض القلوب . قل لي ماذا تعرف عن طلبي ؟ هل انال ما طلبت ؟

الحارس – لا ينبغي للمرء ان يفقد الامل . فسأسأل المدير وعسى ان ينيلك اياه . وماذا تريد ان تكتب ؟

اوسكار – رسالة . . . رسالة طويلة ، أطول من جميع رسائل الحياة ، من تلك الرسائل التي لا يمكن ان يُفرغ لها الوقت الا في السجن .

« يقرع الباب » .

من هذا ؟

« يتجه الحارس الى الباب ويعود بسرعة » .

الحارس – زائر .

اوسكار – زائر ؟

الحارس – نعم ، زائر . نزولاً على توصية من السر روغلس برايز سمح المدير لك بان تستقبل السيد هاريس في حجرتك .

اوسكار – هاريس ؟

المشهد الثاني

اوسكار وايلد . فرانك هاريس . الحارس .

اوسكار – « يذهب الى هاريس » انت . . . انت . . .

« ينسحب الحارس في الحال » .

فرانك ، فرانك ، ماذا خالج نفسي حين رأيتك ! هل الايام هنا ايام ام قرون ؟ ألم اتغير ؟

« ينظر اليه هاريس بانتباه كبير » .

هاريس – نعم ، تغيرت ولكن يبدو لي ان فيك شيئاً جديداً ، يا اوسكار ، شيئاً سرني كثيراً وانعش نفسي . ولكن لنسرع في الكلام فدقايق اجتماعنا معدودة . لقد جئت لاساعدك ، لاسعفك .

اوسكار – حدثني عن اهلي .

هاريس – امك في حالة حسنة . لقد تألمت كثيراً ولكنك تعرف شجاعتها .

اوسكار – هي هكذا منذ نشأتها .

هاريس – زوجتك تصفح عنك ! وهي لا تقول فيك كلمة سوء ولا تعلّم اولادك ان يبغضوك .

اوسكار – بل تعلمهم ان ينسوني . مساكين ! ماذا قيل لهم يا

فرانك ؟

هاريس – قيل لهم انك سافرت سفرة طويلة .

اوسكار – كما يقولون لاولاد الذين يموتون ! ولكنهم سيعرفون الحقيقة . . . فماذا يقولون ؟ في احدى مسرحياتي عبارة لا تفتأ تعاود ذاكرتي :

يبدأ الاولاد بمحبة اباءهم . ثم يدينونهم . ثم ينسونهم .

فالافضل ان ينسوني . . . هناك شخص آخر احب ان اعرف عنه شيئاً .

هاريس – اعرف ذلك . . .

اوسكار – حدثني عنه يا هاريس .

« تبدر حركة من هاريس » .

آه ! لم يبق بين هذه الجدران مجال للخجل الباطل وللنفاق . تعال نتكلم في هذه المنطقة العليا التي لا وجود فيها للمجتمع ! هل رأيته ؟ هل قلت له ما رغبت اليك في ان تقوله ؟ اين هو ، ماذا يفعل ؟

هاريس – الا تزال تحبه ؟

اوسكار – لم اشعر مرة بحاجة الى حبه بمقدار ما اشعر بها الآن . يجب ان احتفظ بهذا الحب في قلبي مهما كلفني الامر . فماذا بقيت في السجن بدون حب ، فماذا يحل بروحي ؟

هاريس – اعتقد ان صديقنا روبرت روس بلغك الحقيقة ، فدوغلاس ترك انكلترا قبل نهاية الدعوى ، وهو الآن في

فرنسا .

اوسكار – انا الذي طلب منه ذلك نزولاً على نصيحة السر ادوارد كلارك .

هاريس – اراك تفتش له عن اعذار .

اوسكار – لا ، بل افتش عن الحقيقة .

هاريس – اذن فاعلم ان دوغلاس هرب من انكلترا . ومنذ وجودك في السجن لم يبذل اية محاولة بقلمه ولا بحضوره ليخفف عنك عذابك . ومعلوم انه طلب ان يجيء ليراك ولكن لم يبدر منه اي الحاح حين نصح له روبرت روس بالعدول عن طلبه .

اوسكار – ليس في العالم سجن ، يا هاريس ، لا يستطيع الحب ان يدخل اليه . آه ، لو انه هو في السجن ، أما كنت بذلت كل ما بوسعي لاجيء اليه ؟

هاريس – ان حسن حظك شاء ان يكون لك اصدقاء غير الفرد دوغلاس . فان اكن جئت الى هنا فلكي اهتم بامرك ، لابحث معك في ما يؤول الى اختصار امد هذا الحكم الشائن الذي لن تفتأ انكلترا بأسرها تحمرّ خجلاً منه .

اوسكار – ماذا تريد ، يا هاريس ؟

هاريس – ان اخرجك من السجن ، ان احمل المقامات الادبية الانكليزية على توقيع عريضة احتجاج لاجلك .

اوسكار – لن تجد احداً يوقع هذه العريضة ، يا هاريس !

هاريس – ماذا تقول ؟ فقد باشرت العمل وطلبت من مريديت . . .

اوسكار – فرفض .

هاريس – نعم . . . وجورج وندام كذلك .

اوسكار – وندام الذي كان صديقي ! آه ! من هذا على الاقل كنت اتوقع احسن مما رأيت .

هاريس – ان وندام يعطف عليك وله اعجاب كبير بنبوغك ، ولكنه رفض ان يوقع العريضة لانك ، حين سألك عن حقيقة ما يشاع عن صلتك بدوغلاس ، اقسمت له بشرفك انه ليس بينكما الا صداقة . لقد كذبت عليه ولن يغفر لك ذلك .

اوسكار – أسياسي لا يستطيع الصفح عن كذبة ! ان الآلهة لتضحك من هذا . . . بيد انـــه قد يكون مصيباً . ومهما يكن فلا يحق للمرء ان يجحد حبه .

هاريس – ماذا يهمنا من مريديت ووندام ! فلدينا سواهما كثير . فقد اعطاني البروفسور تيريل اسمـــه ، وهاردي لن يرفض التوقيع . وهناك فرنسا ايضاً . فستذهب اليهـا حين يطلق سراحك .

اوسكار – نعم ، فقد يكون غضب الفرنسيين اقل من غضب الانكليز لاني لست فرنسياً .

هاريس – مهما يكن فالفرنسيون معجبون بك .

اوسكار – لقد جاءني من هناك كثير من ادلة العطف . مـن هنري ده رينيه وبيير لويس لانهما شاعران . . . وعلى ذكر

الفرد دوغلاس في التاسعة والخمسين من عمره حوالى العام ١٩٣٠

هذين احب ان اكلفك نقل كلمة الى لونيه بو .

هاريس – في صدد تمثيل « يهوديت » ؟

اوسكار – احب ان تقـــول له الى اي حدّ كنت مسروراً بتمثيل مسرحيتي . واحب ان تشكره . ليس بالهين ان يبقى الناس في هذا العهد من سقوط الحرمة ينظرون اليّ نظرتهم الى صاحب فن .

هاريس – سأبلغه هذا . واذا لفظتك انكلترا فستعيش في فرنسا يحتضنك فيهـا ادباء يحبونك ولا يطلبون منك الا ان تكون الشاعر العظيم كما انت .

اوسكار – لا ارى ان جميع الادبـــاء الفرنسيين يغفرون لي . فحين طُلب من فرنسوى كوبيه ان يوقع عريضة لأجلي قال انه يرغب في ذلك بشرط ان يتمكن من توقيعها باسم « عضو في جمعية حماية البهائم » .

هاريس – من نقل لك ذلك ؟

اوسكار – فابتسمتُ ، ويندر ان يبتسم الانسان هنا .

هاريس – مـــاذا يهمك من كل ذلك ؟ قلت ان لك في فرنسا اصدقاء هم كل من يمثل الحرية والشجاعة . فاذا كان فرنسوى كوبيه وجـاك نورمان يهنانك في شقائك فهنـــاك لوسيان ديكاف وهنري بوير . اقرأ ماذا كتب بوير في « صدى باريس » بعد تمثيل « يهوديت » في قاعة الاوفر .

« يتناول من حافظته قصاصة جريدة ويقرأ » .

« لقد احرزت « يهوديت » فوزاً كبيراً على مسرح الاوفر . « يهوديت » هي فصل من النثر الفرنسي للشاعر اوسكار وايلد الذي حكم عليه بالاشغال الشاقة مدة سنتين في قضية تهين الشعور الانساني . وليفهم القراء ، الذين يتتبعونني ، فرحي العظيم بتلك الليلة . . . أجل ، ان فرحي لكبير بان ارى صنيع الاديب المنفي من المسارح يجد في باريس مأوى لمجده . فتصفيق الاستحسان كان يتجاوز القاعة الصغيرة الى جدران السجن ، الى حيث يشقى اوسكار وايلد ، ليعيد اليه الحياة مع الامل . »

« يقف اذ يرى اوسكار يبكي » .

نعم ، ان لنا كل ما في اوروبا من الذكاء والعطف ، وسنخرجك من سجنك .

اوسكار « بعد تفكير قصير » — أواثق انت من ان هذا ضروري ؟

هاريس — أمجنون انت ، يا اوسكار ؟ تذكر آلامك . تذكر استدعاءاتك في الايام الاولى .

اوسكار — الايام الاولى ، الايام الاولى ، يا هاريس ، هي غير هذه التي ألفتُ فيها هذا السجن واتحدت به . الايام الاولى كانت الكابوس ، ما شهده دانتي وقصّه ، الماءَ القذر الذي يُغتسل به ، سمة العار ، القوتَ الذي لا يؤكل ، تلك الاخشاب التي يقال لها السرير ويستحيل عليها الرقاد . الايام الاولى كانت ما ليس بوسع الكلام ان يعبر عنه . كانت المعاملات

الوحشية والجوعَ البطيء . آه ! انه مكتوب على وجهي كما كتب على وجه دانتي اني كنت في الجحيم ! سوى ان دانتي نفسه لم يتصور جحيماً شبيهاً بسجن انكليزي ، ففي اوجع حلقاته تستطيع الخلايق ان تتحرك ، ان يرى بعضها بعضاً ، ان يسمع بعضها انين بعض . في جحيم دانتي شيء من الرفاقة والألفة في العذاب والبؤس . هاريس ، هاريس ، في الايام الاولى كان ممكناً ان اعمل المستحيل لاخرج من السجن . اما الآن . . .

هاريس – اما الآن ؟ . .

اوسكار – الآن ، يا هاريس ، يبدو لي ان السجن قد اسعفني وانه كان اعظم شيء في حياتي مع الحب الذي ساقني اليه . . .

هاريس – اوسكار !

اوسكار – ماذا كنت في المـاضي ؟ . . دعني اتكلم . كنت كاتباً ، هذا امر جليّ . كنت مؤلفاً مسرحياً لامعاً ، صائغاً من صاغة الشعر ، ولكني كنت في الوقت نفسه من الظرفاء الدوّارين ، تحيط بي طبائع هزيلة مسكينة . كانت المرتفعات تتعبني فانزل الى الاعماق باحثاً عن احاسيس جديدة . وكانت كلٌ من كلماتي مفارقة اتحدى بها الحقيقة . كنت انفر من كل ما يوحي الرحمة ، واعتقد ان كل صنيع فني يجب ان يكون عجيباً ومرحاً . اما الآن فقد ادركت ان هـذا التصور ناقص وغـامض ، فالصنيع الفني يجب ان يبنى على

الرحمة . ولأفضل ان لا يكتب كتاب او قصيدة لا رحمة فيها . هذا الذي علمني سجني . كنت في الماضي انكر الألم ، يا فرنك . وكان مذهبي في اللذة يزهم القدرة على ارجاع الشباب لانكلترا العجوز . كنت اعيش للذة وحدها فاهرب من الشقاء والالم على اختلاف اشكالهما ، وامقتهما معاً ، ظناً مني انهما من انواع النقص . ولم يكن ليخطر في بالي ان القدر سيخصني بمفاجأة يخبئها لي . اما الآن فاني ارغب في الحياة لأسبر غور هذا العالم الجديد : الألم ! هذا الذي علمني سجني . . . ففي الالم ولدت الخلائق ، وبالالم ينتهي الناس الى الرحمة . واني لأحمد الله كل ليلة على الرحمة التي علمني اياها . لقد دخلت الى هذا المكان بقلب قدّ من الرخام فتحطم هذا الرخام ودخلت الرحمة الى قلبي . ولذلك لست حاقداً على الذين كانوا السبب في شقائي ، لا على كنسبيري الذي هاجمني ، ولا على القضاة الذين حكموا عليّ ، ولا على انكلترا التي لفظتني ، ولا على احد اذ لولاهم لما عرفت هذا كله . ولست حاقداً حتى على الاصدقاء الذين يرفضون توقيع عريضة قد تعيد الي حريتي . هاريس ، هاريس ، لقد علمني سجني صفاء الغفران ، وهذا النوع من الاعتراف بالجميل للشتائم التي ترفعنا ، وتلك الرفعة العجيبة للالم الذي يكللنا باكليل من الغار لا يقوى الموت نفسه على استرداده منا . هذا الذي علمني اياه سجني وتريد ان تنتزعه مني . لا ، لا ،

يا فرنك ، لا تقف بيني وبين مصيري ودع الاحداث تعمل عملها . فحين كنت طليقاً لم أكن املك سوى موهبة وقد اكون اهتديت الى عبقريتي في السجن !

هاريس – آه ! لم اكن اتوقع مثل هذه الغبطة . . . فستخرج من بين هذه الجدران وقد طهرت نفسك وصفت ، وانقذتك المظلمة التي انزلها الناس بك .

اوسكار – ماذا تعني ؟

هاريس – اعني انك وقد اهتديت الى حقائق الامور ، الى سنّة الحب . . .

اوسكار « يقاطعه بشدة » – امنعك من ان تلزم هذه اللهجة . . .

هاريس – ولكنك انت نفسك . . .

اوسكار – اذا كنت تعني الحب الذي اكنّه لالفرد دوغلاس فلا اسمح لك بان تخاطبني هكذا .

هاريس – أالى هذا الحد لا يزال الجنون يحملك على التمسك به ؟

اوسكار – اني اتمسك بالحب الذي اكنه له . آه ! انك لم تفهم ، يا هاريس ، ما قلته لك الآن وما تدفق من قلبي . فحبي وسجني هما اعظم ما عرفته في حياتي ، هما القطبان اللذان يتجه اليهما كياني . ولكل منهما صلة بالآخر . فهذا الحب قادني الى السجن ، وهذا السجن قادني الى حيث انا الآن ، فقد جعلني انساناً جديداً ، انساناً عميقاً ، حقيقياً ، قريباً من الرحمة والانسانية .

هاريس – لا افهمك .

اوسكار – ان إله السجون يفهمني اذا كان إله الكنائس لا يزال ينكرني . فكر يا هاريس ، انت العالم النفساني ، انت العارف بالنفوس ، فكر بالاحداث التي مرت بنا ، تذكر تفاصيل الدعوى . أو تعتقد ان القضاة حكموا علي لما قاله كرسون عني ؟ اتعتقد انهم حكموا علي لصلاتي ببعض صبية فاسدين يتاجرون باجسادهم وقد باعوا انفسهم هذه المرة ايضاً من القضاء ؟ ولكن انكلترا باسرها تغص برجال فعلوا ما كنت افعل ! فعقب اليوم الذين ساقوني فيه الى القضاء شعر اولئك الرجال للمرة الاولى انهم مهددون . اجبني يا هاريس ، هل حكم على ذلك الوزير الذي لا تقتصر عواطفه على السياسة ، وعلى رئيس تلك الجمعية الملكية ، ذلك المثري العظيم الذي رفع اخيراً الى مرتبة النبلاء وله في الفن ذوق مشهور ؟ هل حكم على مكدونالد وعلى الدوق ده كلارنس ؟ . .

هاريس – اصمت يا اوسكار ! . .

اوسكار – لو لم الق الفرد لبقيت حراً ولكان سمح لي بكل ما على الارض من الباركر والوود في جميع فنادق سافوى في العالم . لا ، لا ، فالذي ثارت عليه انكلترا العجوز ليس الرذائل المألوفة التي يجيد الخبث والنفاق تقنيعها ، بل هو الحب العظيم .

هاريس – اوسكار !

اوسكار – هذا الذي فهمته فهماً غامضاً وارادت ان تعاقبه ، يا هاريس . هذا هو مفتاح السر . لأن يكون ثمة حب عظيم ، حب سام نقي لا يتورع عن الصعود الى المحرقة ، لأن يكون مثل هذا الحب في قلب رجل لرجل ، هـذا الذي لا تقوى التقـاليد على قبوله ، هـــذا الذي اثار الآداب البورجوازية العتيقة ، هذا الذي وجب طرحه في السجن .

هاريس – أتضطرني الى القول بانها مصيبة ؟ لا شك في اني اشجب اقدامها على ضرب رجل مثلك لتعطي امثولة . وانه لمن العار عليها ان لا تجد في عبقريتك ما يدافع عنك وان تحكم عليك كما يحكم على اي محترف كان ، ولكن كيف لا اعترف لها بالحق حين تثور على عمل تنفر منه كل حضارة ويشجبه كل ذكاء ؟ فالحب المشروع الوحيد هو الذي يقوم بين رجل وامرأة .

اوسكار – من اين لك هذا يا هاريس ؟ قل لي ان طبيعتك لا تحتمل الا هذا الحب ، ولكن لا تقل ذلك لي انا الذي ساقني حبي الى حيث تجدني الآن .

هاريس – الا تدرك على كل حال لأي سبب غريب تثب الانسانية من اعمق اعماقها الغامضة لتثور على هذه الطريقة في الحب ؟ فالحياة نفسها هي التي تثور على هذه الطريقة . والانسانية اذا اسعفها عظماء الرجال وانارها ذكاء ثمين فاستفاقت من اخطائها الاولى ، ترتفع الى حضارة اطهر وانقى وتصعد سلماً طويـــلة

تؤدي من البهيمة الى الله . وانه ليتفق احياناً ان تغور اجيال بل اجناس بكاملها في الهوة ، والذين ينجون من هذه الاجناس ينظرون بخوف وذعر الى تلك السقطات المتتالية يمنى بها الانسان في عودته الى البربرية .

اوسكار – مزاعم ، كل هذا مزاعم !

هاريس – تقول ان كره الانسان لنوع من الحب انما هو مزاعم ، ولكن هذه المزاعم هي عقلية الوف من الاجيال اكدتها التجارب التي مرّت باجسادنا وصارت عاطفة اقوى من جميع الادلة والبراهين . وهذه الانسانية التي تريد ان تصعد الى القمم لن تحملها على السقوط في السدومية اكثر مما تحملها على السقوط في البهيمية . لن تحملها على اكل اللحوم البشرية اكثر مما تحملها على تبادل القبل العقيمة .

اوسكار – ما من قبلٍ عقيمة الا القبل التي يتبادلها الناس بدون حب . أمثلك يا هاريس لا يرى في الحب الا هذا ؟ ليست العاطفة العظمى التي يوقظها اللقاء ، والعيون التي تتلاقى ، والانسان الذي يصبح اشد ضرورة لك من الهواء الذي يُستنشق ، أليس كل هذا احبولة لايجاد مخلوق جديد ؟ اذا كان ذلك كذلك فكل ما في الحب من العظمة عقيم ! هل جاء مانون ولدٌ من ده غريو ؟ هل صيّر تريستان ايزوت اماً ؟ وهل رزقت جوليات ولداً من روميو ؟ احرى بك ان تلزم مثل هذا المنطق مع المولّدين من ان تلزمه مع العشاق !

هاريس – اوسكار !

اوسكار – تلك العاطفة العظمى التي تولد بين شخصين وتسمى الحب لا يمكن ان تكون عقيمة . فهي تضيء في قصائد شكسبير ، وتنير رخام ميكل انج ، وتختلج في حكمة سقراط ، وهي هي التي هدتني في هذا السجن الى نفسي . ان كل حب عظيم أكان بين شخصين من جنس واحد ام من جنس مختلف ، انما هو انتحار مزدوج ، فلا تقصر كلامك على النوع حين يكون ثمة حب بين اشخاص لا يستطيعون ان يتوالدوا . فالاولاد الذين رزقهم الفرد ده موسه من جورج صند هم « الليالي » و « الذكرى » .

هاريس – أتقول ذلك لي انا ؟ كان احرى بك ان تقوله للقضاة . فهل جرؤت على ان ترد عليهم في وجههم ؟ أولم تكتف بكلمات كلها التباس وتهرّب ؟

اوسكار – أيكون هذا خطأي الكبير ؟ مهما يكن يا هاريس ، فلا اعتقد انه يمكن ان يكون جرم او رذيلة حيث يكون الحب الحقيقي ، الحب الذي يسمو الى التضحية . ولكن السبب الذي من اجله طوردت هو ان العاطفة التي شعرت بها نحو دوغلاس تخلع في واقعية هذا الزمن نوعاً من الجمال على حب يراد رذله !

هاريس – لو انك كنت واثقاً الى هذا الحد من جمال الحب لقلت الحقيقة امام المحكمة !

اوسكار – لقـــد قلتها بالصراحة التي يمكن ان تقـال لمحكمة انكليزية .

هاريس – كان عليك امام هذه القضاة ونكران المحامين ان تقول واثقاً ثقـة غاليله من دوران الارض : « ومع هذا انهـــا تدور » .

اوسكار – امام تهمك هذه ، من اعماق سجني ، وبعد ان دفعت من حريتي وحياتي ثمناً للحب الذي لا يجرؤ على ذكر اسمه ، اقول لك : « ومع هذا انه موجود » .

هاريس – لقد دفعك دوغلاس الى رفع الدعوى وترك عبئها عليك وحدك . ولما احس انها صارت خطراً عليه غادر انكلترا . . .

اوسكار – ومع هذا ما زلت احبه !

هاريس – ولجـــأ دوغلاس الى باريس ليكسب فيها شهرة على حسابك . وهو لم يسعَ ليلحق بك الى هنا ولم يفعل اي شيء لاجلك انت الذي فعل لاجله كل شيء . وغـداً حين يتوسط لك اصدقاؤك الحقيقيون فتخرج من هذا السجن الذي كان يجب على دوغلاس ان يكون فيـه الى جنبك والذي دفعت فيه من اجل معايبك مقدار ما دفعت من اجل معايبه ، اجل حين تخرج من هذا السجن أبودك ان تذهب اليه مرة اخرى ؟ الا فليخصه والده بدخل يكفيه مؤونة العيش مشترطاً عليـه ان لا يراك ابداً وحينئذ يتخلى عنك مرة اخرى ويضيف الى خياناته السابقة خيانة جديدة .

اوسكار – ومع هذا ما زلت احبه . . . الا يزال فيك ، يا هاريس ، ذرة من الشك في ان هذا الحب عظيم وزاهد مقدار ما هو ذلك الحب الذي يجمع بين اولئك الرجال والنساء الذين تود ان تحتفظ فهم باحتكار هذه العاطفة ؟ اجل ، ما زلت احبه . احبه ذاهلاً ، غائباً ، لا وفاء له . احبه بعد كل ما سبب لي من الشقاء . احبه كما استطعتَ ، يا هاريس ، ان تحب المخلوق الذي احببته اكثر من اي شخص في حياتك . ليس في العالم رجال ونساء ، يا هاريس ، بل فيه خلائق بشرية . وما دام الحب اغرب شيء في الحياة فلماذا تريد ان لا نكون في حبنا فوق النسل ، فوق الزمن ، فوق الجنس ؟ ومهما يكن فأنا احب الفرد . وبعد ان دفعت ثمن هذا الحب من حريتي وصحتي وحياتي ، بعد ان سجنت لاجله ما زلت احبه . ومهما يكن هذا الحب ظالماً فلست اكيداً اني لا اباركه لاني عرفت الآن انه هو الحب كما ان هذا هو السجن .

هاريس – مسكين انت يا صديقي العظيم . . .

اوسكار – اذا احببتَ امرأة الى هذا الحد يا فرانك ، يحق لك حينئذ ان تلقنني دروساً في الحب . اسمع : تلك الصحائف التي طلبتها من حارسي ، ذلك الورق الابيض ، اتعرف ماذا اريد ان اكتب عليه ؟ لا اريد ان اكتب عليه مأساة ، فهذه تكفيني . . . ولا مسرحية من تلك المسرحيات الزاهية التي اذاعت شهرتي . . . لا اعتقد اني استطيع بعد هذا ان اكتب مسرحيات حتى ولا

قصيدة . . . بل رسالة ، رسالة ، طويلة ، طويلة تشغل نهاراتي وتملأ مسامعي باسم واحد ... رسالة ، افرغ فيها حيناً توبيخاً وحيناً احقاداً ، وحيناً غضباً ، ولكن الحب الذي افرغه فيها سيكون من الوفرة بحيث لا يقوى اي رجل على قراءة تلك الرسالة من غير ان يتبين فيها شعلته ، واية حبيبة من غير ان تتبين فيها قلبها . رسالة ، يا هاريس ، اوضح له فيها كل شيء ، واسعى لان افهمه الضرر الذي سببه لي ، واجرب ان احمل مشعل الحقيقة النقي الى جهيم حبنا . . . آه ! تلك الرسالة ، قد تنشر فيما بعد ، يا هاريس ، حين اموت . . . ومهما يكن فستكون ولا شك ، حين تتدفق من اعماق قلبي ، ابقى من كل ما كتبت .

هاريس — هوّن عليك ، يا اوسكار ، فقد جئتك بالورق الذي تريده .

« يتناول حافظة وضعها على كرسي وهو داخل ويخرج منها عدة ورقات بيضاء ويناولها لاوسكار » .

لقد اجاز لي المدير ان اعطيك اياه .

اوسكار « تنهمر الدموع من عينيه » — فرانك ، فرانك ما من هدية توازي هـــذه ! . . ورق ابيض ! ورق بكر بدأت ترتعش عليه الكلمات التي سأكتبها ، كأنها آلهة موقظة ... كان يتفق لي ان ابكي حين ارى من الكـوة الصغيرة السماء التي فصلتُ عنها ، فكيف لا ابكي الآن اذ ارى . . .

« يتناول ورقة فيرفعها فوقه ويحدق اليها » .

هذه القطعة من السماء البيضاء التي حرمتها اكثر من تلك . انها اداة حرفتي ياهاريس ، الافق الشاحب الذي اطرح عليه نجوماً على طريقتي . . . سأستطيع من جديد ان اكتب وان اكتب اليه . آه ! كان يحق لانكلترا ان تجردني من كل شيء عقاباً لي ، الا من هـــذا . لم يكن يحق لها ان تنتزع من الشاعر حقه المشروع في الكلام .

هاريس — واليك اقلاماً وحبراً . . . هذا مطلع الحرية وسنعيد اليك ما بقي . . .

« يجلس اوسكار على الارض ويعتمد الكرسي مكتباً » .

اوسكار !

« لا يجيب لانه بدأ يكتب كمن سكر باستقلاله الفجائي » .

اوسكار !

اوسكار — عفوك يا هاريس ، انها لسكرة جديدة بعد ذلك الوقت الطويل .

هاريس — اني افهمك .

اوسكار — بالرغم من الحواجز والسجن والمسافة التي فصلتني عنه شعرت ، بفضل هذا الورق ، اني صرت معه . وخيل الي انه هنا واني اكلمه . « يقرأ وهو يكتب » . عزيزي بوزي ، بعد رجاء طويل لا جدوى منه ، صح عزمي على ان اكتب اليك في الاول . . .

« يتوقف فينظر الى هاريس وينطلق في البكاء .

وفي هذه الآونة يسمع في الابعاد صلوات وجرس يقرع حزناً . ثم يفتح الباب ويظهر الحارس » .

الحارس – يجب عليك ان تنسحب ، يا سيد هاريس . فرحمة بالسجين تركت الزيارة تمتد اكثر مما يجوز لي .

هاريس – شكراً . . . ما هذا الجرس ؟

الحارس – لقد اعدم السجين الآخر .

هاريس – السجين الآخر ؟

اوسكار – فارس من الحرس الازرق ، يا هاريس ، قتل زوجته لانه يحبها .

هاريس – وهل يستمر طويلاً قرع هذا الجرس ؟

اوسكار – الى ان يدفن في قبر موحش مجهول . اذهب يا هاريس ، وشكراً لك على كل ما صنعت لاجلي .

هاريس – اتكل على ما سأصنعه بعد . سننقذك حتى ولو اضطررنا الى خبط العالم . وسيكون لك ايام جميلة . ستعود الى ايطاليا ، وترى فرنسا ومن تحب . . .

اوسكار – شكراً لك ، يا هاريس ، شكراً لك .

« يتعانقان بمحبة كبيرة » .

لا تخبر احداً انك عانقتني لئلا تلطخ سمعتك ، يا عزيزي هاريس . . .

هاريس – لا يهمني رأي احد . لا يهمني الا شرف صداقتنا .

« يخرج هاريس . وفي الحال يعكف اوسكار على الكتابة » .

المشهد الثالث

اوسكار « وحده » . ثم الحارس .

اوسكار « يكتب كأنه مدفوع بحاجة ملحة » — عزيزي بوزي ، بعد رجاء طويل لا جدوى منه صحّ عزمي على ان اكتب اليك انت الاول ، وذلك لفائدتك مقدار ما هو لفائدتي . لقد اورثتني صداقتنا البائسة المحزنة العار والدمار ، على ان ذكراك لا تفارقني ولا احب ان يحل المقت والمرارة والاحتقار محل الحب في قلبي .

« يكتب ثم يقرأ » .

أتعتقد حقاً انك كنت جديراً بحبي ؟ لا ، لم تكن جديراً بهذا الحب .

« يتوقف هنيهة . الجهد الذي يبذله يرتسم على وجهه بألم عظيم » .

لم تكن جديراً بهذا الحب ، ولكن الحب لا يساوم في الاسواق ولا يستعمل ميازين الباعة . فغاية الحب هي الحب لا اكثر ولا اقل . اذن كنت عدوي .

« يضطرب صوته كأنه ممتلىء بكاء » .

كنت لي عدواً لم يكن مثله لانسان . فقد وهبتك حياتي

فأتلفتها . . . ولم يبق لي بعد هذا الا ان احبك . . . بعد الحكم الرهيب الذي صدر بحقي ، حين ألبست لباس المحكوم عليهم واغلقتْ ابواب السجن ، تداعيتُ بين خرائب حيـــاتي العجيبة ، تسحقني الحسرة ويذهلني الالم ، ولكني لم اشأ ان ابغضك .

« يواصل الكتابة . ثم ينهض فجأة فيتكلم بصوت مرتفع كأنه يخاطب احداً امامه » .

لم اشأ ان ابغضك ، ولكن لماذا لم تكتب اليّ ؟ أجبنٌ منك ام اهمـــال ؟ كنت انتظر رسالة ! بوزي ، كان سكوتك فظيعاً . أتشك في مقدار حبي لك وفي مـا كنت فعلت لو كنت مكانك ؟ لا اجهل انك كنت ولداً كصورتك هـــذه التي احتفظ بهـــا دائماً . ولكن كان يجب عليك ان تجيئني لتكلمني ، لتفهمني . لو انك فعلت ذلك لغفـــرت لك كل شيء . . . والآن هل تـأتي اليّ حين اخرج من السجن ؟ . . هل اراك ؟ . .

« ينفتح الباب فجأة ويظهر الحارس » .

اوسكار « ينتبه مضطرباً » — ماذا ؟

الحارس — زيارة لك . وبما ان وقت الزيارات مضى من زمن طويل فقد اجاز المدير ، مراعاة للشخص الزائر ، ان تتحادثا من الكوة الصغيرة . . .

اوسكار « بتأثر عظيم » — من هو هذا الشخص ؟

الحارس – ستفرح فرحاً عظيماً بسماع صوته . . .

اوسكار – ربِّ !. .

« يهبط الليل . يمضي الحارس باوسكار الى الكوة ثم ينصرف . بعد سكوت عميق يرتفع الصوت قريباً » .

المشهد الرابع

اوسكار . الصوت .

الصوت – انت هنا ، اليس كذلك ؟ يؤلمني ان لا يسمح لي بالدخول الى حجرتك ، يا صغيري المسكين . ولكن المدير لم يأب علي ان اكلمك بالرغم من ان الوقت ليس وقت زيارة . . .

اوسكار – امي . . .

الصوت – كنت آمل ان اكون هنا قبل الساعة الرابعة ولكني تعبت في الطريق فاسترحت . سأكلمك الآن واعود اليك غداً . لم ارك منذ اشهر ، منذ الحادث الاليم . ففي الاوقات الاولى لم يسمح لي ان اجيء اليك فكتبتُ . وفي ذاك الحين الطافح بالالم كنتَ تشعر بان جميع الناس يتخلون عنك حتى امك . ولكني شعرت اخيراً بحاجة قصوى لان اراك ، لان اكلمك ، لان اقول لك اشياء . . .

اوسكار « يبكي » – امي ، امي ، انا شقي بائس . لا اجهل ماذا بودك ان تقولي لي . لقد اعطيتني اسماً نقياً فجعلته مرادفاً للرذيلة والعار وتركته يتمرغ في الساحات . آه ! كان يجب عليّ ان اكون اقوى مما كنت ، ان اقهر نفسي وافكر فيك وفي اولادي . كان علي . . . اتغفرين لي يا امي !

الصوت – لم اجيء اليك لاقول لك هذا ، يا اوسكار . وليس عليك انت ان تطلب الغفران مني . فان اكن جئت الى هذا السجن عجوزاً ومريضة فلكي استغفرك انت !

اوسكار – امي !

الصوت – اغفر لي ، يا اوسكار ، اني عملت قلبك كبير الشبه بقلبي . اغفر لي اني ضممتك الى صدري حين كنت صغيراً وتركت كثيراً من روحي ينسكب في روحك . آه ! فهمت الآن انك كنت ابن احلامي ، ومطامحي ، وشبابي . لقد عملتك شبيهاً بي حين اعطيتك قلب المرأة الممزق ، هذا القلب المتحفز دائماً للحب . اغفر لي . فأنت تحمل خطيئتي . في الاوقات الاولى تأملت كثيراً . ففي احد الايام دل عليّ بعض الرعاع باصابعهم ولم اجرؤ ان اذكر اسمي في احد الفنادق ... ولا شك في ان هاريس ذكر لك هذا . . . ولكني عدت الى نفسي حين فهمت كل شيء . آه ! ربما افضل ان لا ارى وجهك المسكين هذا المساء وان يستقبلني صوتك في الاول . فالذي اطلبه يا ابني ان تغفر لي وان تعلم اني مع هذا فخورة بان اكون ام اوسكار وابلد . . .

اوسكار – امي ، امي ، امي ! . .

« الستار يهبط ببطء فيما اوسكار يسجد منتحباً امام الصوت » .

تمت

الفهرس

الصفحة

اوسكار وايلد ٥
الفصل الاول ١٨
الفصل الثاني ٥٦
الفصل الثالث ٩٠

انتهى طبع هـذا الكتاب
على مطابع الف ليلة وليلة ، بيروت
في ١٥ شباط سنة ١٩٤٧

DATE DUE

ابو شبكة ،الياس
اوسكار وايلد امام القضاء
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01033645

842.91
R83pA
c.1